زرزارة

أدخلوها خائفين

"رواية"

أسماء ونان

obeikandl.com

زرزارة أدخلوها خائفين

" رواية "

اسم الكاتبة: أسماء ونان

تدقيق لغوي: محمد ربيع – محمد صقر

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد

الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم

رقم الإيداع: ٢٥٢٠٠ / ٢٠١٧

المكتبة العربية للنشر والتوزيع

١١٤ عمارات جنوب الأحياء – الحي السادس – مدينة السادس من أكتوبر

موبايل و واتس : ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية، أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

obeikandl.com

جِدارياتٌ مُهشّمةٌ تحيطُ بي، لا أدري ما الذي أقحمتُ نفسي فيه .. ولكنه القدر!

عَلَيَّ أن أقبل ما كتبه (الله) لي وعليّ ألَّا أُقاوم. حَسَنًا!

وما الذي سأقاومه؟ ليس هناك مَفَرٌّ؛ لقد انتهى كُلُّ شيء؛

الليلة النطق بالحكم فيما حدث .. ما الذي صار؟..

وماذا سأقول لو طُلِب مني الدفاع عن نفسي غير الاعتراف

وأنا بكامل قواي العقلية أنني الجاني مهما كَلَّف الأمر.

لقد كانت مَذْبَحةً، لا أعرف كيف بَدَأتْ وتطورت هكذا،

لا أعرف كيف سينتهي الأمر؟

كل ما أعرفه أنني أصبحتُ أعيش مع شَبَحِها إلى الأبد!

(أَكْرَم).

❋ ❋ ❋

(البداية)!

حارة كبيرة بأسوان لطالما اعتادَ أهلُها أن يكونوا يدًا واحدة، لقد كانت أيَّامُهم لا تختلفُ عن أي مكانٍ متعاونٍ إلى حدٍّ ما الكلُّ يتعايش سَوِيًّا في سلام، أغلبُ سكانِها من الهلايِل والنوبِيِّين.

رغم العصبية القبلية التي يولد بها أبناء كُلِّ قبيلة منهم، إلَّا أنَّ انتماءهم للمُسَمَّيات يَحُدُّ من أي تطاول بينهم، إلى أن حدث ما حدث من مذبحةٍ مهما حكيتُ لا أصفها حقًّا ولا حتى تُغتفر!

(عبد العزيز) و(صادق) كانا من أعزِّ الأصدقاء، بل كانا يعتبران ما بينهما رابطة أُخوةٍ وليست صداقة فقط، لم يفترقا منذ نعومة أظافرهما، قرَّرا أنه لا بُدَّ لهما من القيام بما يوقف هذه المهزلة التي وقعوا فيها؛ فكان عليهما أن يتبعا كلام (الدَّجَّال) .. ورغم أنهما قد تربيا على ألَّا يصدقا هذه الخرافات ولكن تَحَتَّمَ عليهما أن يفعلا أي شيء لإيقاف الطوفان، وليس هناك سبيل آخر إلَّا هذه الطريقة الحمقاء.

قاما بشراء البخور الذي أعطاهم اسمَه ذلك (الدَّجَّال)، وكتابُ التعاويذ مهُّم جدًّا لكي ينجزوا ما طلب منهم بحرفية تامة.

نظر (عبد العزيز) إلى (صادق) قائلًا: "ولا أدري ما الذي نقوم به وأي رُوح هذه التي ستحضرها هنا!؟ وهل في إحضارها نجاة مما نحن فيه!؟"

obeikandl.com

صمت (صادق) لوَهْلةٍ ثم قال: "لا أعلم، أنا أريد نهايةً لهذا الخراب الذي حَلَّ علينا بأي وسيلة كانت .. لا أريد أن يأتي اليوم الذي أقف فيه ضدَّك بسلاح وعَلَيَّ أن أقتلَك يا صديقي".

نظرا لبعضهما البعض في حزنٍ يواري بداخلهما آلامًا لا تُحكى .. وبدءا الطقوس: قاموا بإلقاء بعض الأعشاب والبخور التي جلبوها من (الدَّجَّال) علي النيران التي أمامهم، وموقفهم الآن يُهَيْمِنُ عليه الرعب والخوف بشدة .. أشار (عبد العزيز) إلى الكتاب فأمسَكَه (صادق) ورَفَعَهُ، وبادل صديقَه بنفس النظرة وهو يبتلعُ ريقَه، وأَوْمَأَ برأسه ونظرا في وقت واحدٍ إلى الكتاب وبدأا في القراءة سويًّا ..

"ساقوم ..ناجوم ..خاؤوم ملكوت الليل الأسود والغيوم ..نستدعي روحا أبيَّة تساعدنا ..ساقوم ناجوم ..حاؤوم احضر الآن بسر الطلاسم الرعدية والزلازل الأبدية والخمس بنات النرجسية"!

وأخذا يرددانها كثيرًا، وأصواتهم تعلو وتعلو؛ حتى انفجرت النار من أمامهم دفعةً واحدةً وقذفت بهم عرض الحائط قذفةً واحدةً قويةً ..كادت أن تُهَشِّم عظامهما!

فجأةً أَلْقَتْ النارُ بفتاتين غريبتي الشكل؛ كلتاهما ترتدي ملابسَ تختلف عن الأخرى، الأولى سمراء اللون ترتدي ملابس نوبِيَّةً "جرجار"، شعرها مُجَعَّدٌ قصيرٌ على شكل ضفيرتين صغيرتين فوقهما حجابٌ شفافٌ أسودُ اللون، ملامحها مصريةٌ جميلةٌ، وما إن أفاقت؛ بدأت تَتَحَسَّسُ نفسَها وكانت في قمة الرُّعب تنظر يمينًا ويسارًا!

أما الأخرى فكانت قمحاويةً تميل إلى اللونِ الأبيض، شعرُها طويلٌ بُنِّيٌّ، ملامحها عربيةٌ أصيلة، ترتدي ملابس تبدو عليها أنها من العصور القديمة..وما إن أفاقت هي الأخرى؛ بدأت بالصُّراخ!

حاول الشابان أن يُهَدِّئا من رَوْعِ الفتاتين خوفًا من أن يشعر بهم أحدٌ؛ فَتَقَعَ عليهما مشكلةٌ أكبر مما هم فيه .. فليسوا في حاجةٍ لها؛ الآن يكفيهم ما هم فيه.

أخذت الفتاةُ السمراءُ تتحدث باللهجة النوبية؛ فَفَهِمها (صادق) وأخبرها بلهجتها أن تهدأ حتى تشعر بالأمان، أما الأخرى فقد كانت تتحدث العربية الفصحى .. بعد محاولاتٍ عِدَّةٍ وعناءٍ شديدٍ بدأت الفتاتان تهدءان قليلا، تحدّث (عبد العزيز) في لهفةٍ: "هَيَّا الآن .. أين قواكم السحرية؟ نريد حلًّا لمشاكلنا؛ لقد جلبناكم من أجلها؛ هل لديكم أي قوى؟".

نظرت له الفتاة العربية في غرابة: "عن أي سحرٍ تتحدث؟ أنا لا أعلم كيف جئتُ إلى هنا حتى؟ وأين أنا؟ وما هذه الغرفة ذات الأساس الغريب؟".

بدأ الوضع يَتَدَهْوَرُ مرةً أخرى، وعلا صوت الفتاتَين .. فقال (صادق) صارخًا: "صَمْتًا، (الدَّجَّال) الأحمق يبدو أنَّه لم يجلب لنا المطلوب، بل أنه زاد الطين بلة .. هذا اللعين لو رأيتُه لقتلته".

قام (عبد العزيز) بتهدئته ونظر للفتاتين قائلًا: "سنحاول إعادتكما مرةً أُخرى، ولكنَّنا لا نعرف الطريقة، ويبدو أنَّكما إنسيَّتان ولا دَخْلَ لكما بسحر أو جنّ".

وقفت الفتاةُ السمراء وهي مستشيطةٌ من الغضب: "ما قصةُ جلبِنا هنا؟ وكيف جئنا؟ ومن أنتم؟ أريد أن أعرف الآن".

ابتسم (عبد العزيز) والحسرة تملؤه: "أنا أُدعى (عبد العزيز) من قبيلةِ (بني هلال) وهذا صديقي النوبي (صادق) لقد ...".

أوقفته الفتاةُ العربية: "انتظر؛ أنا (أميرة) من (بني هلال) وقد قدمت إلى (مصر) مهاجرةً مع أهلي، ونزلنا في منطقة تدعى (سيناء) وهناك من ارتحل إلى الجنوب". وبدأت في البكاء!

تَنَهَّدَ (صادق) في حسرة قائلًا: "والأخرى نوبيةٌ. ما الذي فعله هذا (الدَّجَّال) الأحمق بنا؟ لقد جلب لنا فتاتين من قبيلتنا، ولكن يبدو أنهما من زمانٍ غيرِزماننا بدلا من أن يساعدَنا فيما نحن فيه. أيّ حماقة أوقعنا أنفسنا فيها؟!".

ازداد الوضع سوءًا، واهتاج الجميع والفتاتان تطلبان الآن الذهاب.

استوقفته الفتاة النوبية قائلةً: "وما الذي دفعكما لجلبنا إلى هنا؟ كان من المفترض أ أكون عروساً ولكن هَجَّرونا من بلادنا ..آهٍ ..آهٍ، وأين أنا وأين حبيبي مني؟".

وأخذت هي الأخرى تبكي بكاءً حارًّا!

وقف (عبد العزيز) وأخذ يَدُور حول الغرفة ثم توقّف وقال: "حَسَنًا .. حَسَنًا! نحن في مصيبةٍ كبرى؛ أنا وصديقي، وقد استعنّا بمُشَعْوذٍ لجلب المساعدة لنا فجلب لنا فتاتين في مرحلة الهجرة، حَسَنًا .. لماذا؟".

قالت الفتاة الهلالية: "إذن نحن في مرحلة الهجرة من بلادنا، وأنتم في مصيبةٍ كبرى .. ما هي المصيبة؟ ثم إنكم بملابسكم الغريبة هذه، لا أعلم أي بلد وأي عام نحن الآن".

قال (صادق): "نحن في مصر عام ٢٠١٤ ميلاديا".

صرخت الفتاة واهتاجت: "يا إلهي، لقد مرت سنون طويلة .. كيف تخطّيناها وجئنا هنا؟".

وأخذتا تبكيان وتنتحبان مرةً أخرى .. بالطبع سنون طويلة بينهما .. كيف لهما أن يُصَدِّقا؟

الكل يريد أن يعرف ما الشيء الذي جلب الفتاتين وبالأخصّ اختار هاتين في ذلك التوقيتِ الغريبِ؛ لا بُدَّ أنه يعني شيئًا بهذا!

جلب (صادق) و(عبد العزيز) بعضَ الطعام للفتيات بعد أن هَدَّءا من رَوْعهما؛ وبدأ الحديث يصبح أكثر هدوءًا من ذي قبل، وكان على كلٍّ منهم أن يَعرف قصة الآخر، وبدأت القصة.

obeikandl.com

الصمتُ يُخَيِّمُ على المكان بينما سألت الفتاة الهلاليةُ ما سرّ جلب الشابين لهما، وما المصيبةُ التي وقعا فيها .. نَظَرَ (صادق) إلى صديقه (عبد العزيز) في حزنٍ، وبدأ يحكي القصة!

obeikandl.com

(زِرْزارة) .. (المَلْحَمة)

حارةٌ صغيرةٌ بصعيد (مصر) في محافظة (أسوان) بمكان يُدْعَى (زِرْزارة) تَطَوَّرَتْ الأحداث إلى أن تَحَوَّلَتْ إلى مذبحةٍ كبري .. بدأت الأحداث بمدرسة للتعليم الفني الثانوي، بالطبع الكلُّ يعلم أن الأطفال بهذه المدارس بالتحديد يُوجد بهم بعضُ الإهمال الدراسي مما يستدعي دور المشاحنات المستمرّة التي لا تنتهي بينهم!

كان هناك صبيان أحدهما يدعي "علي" والآخر يدعى "حسّان" .. منذ الصغر تربَّى كلاهما على الانتماء للقبيلة قبل أي شيء فعليّ مثلًا يرى نفسَه نوبيًّا من أصلٍ فرعوني، لا أحدَ مثلَه في التاريخ والحضارة والأمجاد، وكان الآخر "حسان" يرى نفَسه من أقدم قبيلةٍ عربيةٍ في التاريخ، ولها نسبٌ ممتدٌّ إلى النبي مُحَمَّد -ﷺ- خاتم المرسلين.

كان كلاهما يسخران من بعضهما البعض .. مشاحنات شبابٍ في مقتبل العمر، بدايتُها لا تُعرف فهي كأي مشاحناتٍ تحدث بين الصبيةِ في عمرهم فَهُمْ في الرابعة عشرة من العمر الآن، وكانت مشاحناتُهم لها جذور منذ بداية العام الدراسي تزدادُ مع الوقت، هناك من يقول: بسبب فتاة، وهناك من

يقول: اختلافٌ في وجهات النظر أدَّى إلى هذه المعركة التي كانت كلاميةً بينهما في بادئ الأمر!

والذي زاد الأمر من حدَّتِه (حصةُ التاريخ) بالمدرسة؛ فكانت عن الآثار الفرعونية؛ نظر "علي" إلى "حسان" نظرة تعالٍ وفخرٍ أنَّ تاريخَهم يُدَرَّس بالمدارس، والحكومة المصرية لا تهتم لتاريخ القبائل العربية بل حتى هناك من يعلم أنَّه لا وجود لقبائل عربية كبرى بمصر بسببِ عدم ذكرِها في أي كتابٍ مدرسيٍّ كان .. وكيف لها أن تُغفل الهجرة الكبرى لبني هلال والتي تعتبر من أكبر الهجرات في تاريخ العروبة كلها.

هنا بدأ الصراع يشتعل أكثر من ذي قبل؛ انتظر "حسان" بعد انتهاء الدراسة "علي" خارج المدرسة وصفعَهُ على وجهه؛ بالطبع "علي" لم يسكت؛ وردَّ له الصفعة وبدأت المشاحنات، كان شجارًا عاديًّا بين الطلبة في هذه المرحلة.

رجع "علي" إلى منزله وهو يشيط غضبًا، وأخذ يحكي لأُمِّه التي بادلتْهُ الحديث بابتسامةٍ هادئة وحاولتْ أن تهدئ من رَوْعِه، كانت أخته "آية" جالسةً فوق الأَرِيكة تقرأ كتابًا فنظرت له في تَمَعُّضٍ ووبَّخته: "دائما ما تجلب لنا المشاكل، لا أريد سماع حديثك هذا بعد اليوم"، وأخذتْ كتابها وانصرفتْ إلى حجرتِها وأغلقتْ الباب، حينما دقَّ جرس هاتفها، كانت وصديقتها "خلود" اتفقا معا على اختيار الهديَّة المناسبة لمحفِّظة القرآن الكريم بالمسجد والتي اعتادا أن يحفظا معها القرآن والتي كانت تحب الأعمال الخشبيةَ بشدة وخاصةً صناديق حفظ القرآن المُزَرْكَشَة، أخبرتها "آية" أنَّ هناك نجارًا تسمع

أنّه جيدٌ في الحارة المجاورة لهم في منطقتهم التي تدعي (زرزارة) بالقرب من بيت عمها، وأنها ستذهب إليه الآن وستقوم هي بالاتفاق مع النجّار واختيار التصميمات.

ارتدتْ ملابس الخروج متحمسةً جدًّا للصندوق المُتَّفَق عليه وتوجَّهتْ إلى النَّجَّار تبحثُ عنه وتسألُ إلى أنْ وَصَلَتْ إلى مكانه، كان محلُّ النجارة خاليًا من الأشخاص وبه مصنوعات خشبية جميلة، تَلَفَّتَتْ يمينًا ويسارًا وهي تبحثُ عن صاحب المكان وتنادي وهي واقفةٌ في واجهة المحل المفتوح، نظرتْ أمامها فإذا هناك بابٌ بداخله ويبدو أنّ المحل غرفةٌ مأخوذة من المنزل مفتوحة على الشارع -فالعادة في الصعيد أنه إذا أراد أن يفتح أحدٌ مشروعًا يمكنه أن يأخذ غرفةً من غرف منزله المطلة على الشارع ويفتح بها ما يريد من المشاريع ويبدو أنَّ النجار هنا فعل العادة-.

كانت تنادي وتنادي؛ وبعد فترةٍ وجيزةٍ خرج من الباب شابٌّ مَشَمِّرُ الثياب، يُمسك في يده منشفةً، قويّ البنية، مفتول العضلات، يبدو أنَّه في بداية العشرينات من عمره، وما أن رآها حتى خجل وقال: "عذرًا سيدتي؛ كنت أتوضَّأ. مرحبًا بك".

نظرت له قائلة: "اسمع يا أستاذ، أيًا يكن اسمك. لا يُهِم .. الحقيقة أريد صندوقا خشبيا، حَسَنًا، هل تفهم في الأشكال الهندسية والزوايا؟".

ابتسم لها: "جرّبيني".

فاستطردت حديثَها وبدأت تشرح له ما تريده من زوايا بدرجاتها، والأشكال الهندسية بصندوقِها في خوفٍ منها ألا يفهمَ النجَّار ما تعنيه، ولكن ظَلَّتْ على وجهِه تلك الابتسامة مرسومة لا تَتزحزح ثم شَعُرَتْ بأنَّهُ أحمقُ وأنَّ حديثَها لا يُجدي معه نفعًا؛ فمضغت بشفاهها وقالت: "هل تفهم ما أعنيه؟".

لم يترك تلك الابتسامة البلهاء كما تراها؛ فبدأت تتوتَّرُ وقالت: "هل تفهم حقًّا ما أعنيه؟".

ضَحِكَ بشدةٍ ثم نظر لها: "الحقيقة، أنت تتحدثين إلى شابٍّ في الفرقة الرابعة بكلية الهندسة .. ولكن هل حقًّا أبدو أبلهَ لهذه الدرجة!؟".

أحست الإحراج من حديثه ولكنّها حاولت أن تتلاشى الموقف: "حسنا لا يُهم".

وأمسكت بورقةٍ وقلم وبدأت تكتب مواصفات الصندوق بالتفصيل وهو مستمعٌ لحديثها؛ بعدها طلب منها رقمَها حتى يتصل عند الانتهاء من العمل به كما يفعل أي أحد في مجال هذه الأعمال؛ لكنها رفضت أن تعطيَه الرقم .. كانت دائمًا ما تشعر بالخجل الشديد؛ فَرَدَّ عليها قائلًا:

"حَسَنًا، هل هناك أشباح معك تعطيني رقمَها؛ فابلغَها بانتهاء العمل والقدوم لاستلام الطلب!؟".

-"يبدو أنَّك سليط اللسان؛ ها هو رقمي وأريد الصندوق في أقربِ وقتٍ ممكن".

قالتها بِحِدَّةٍ وتركته وذهبت، في هذه الأثناء دخل "حسّان" إلى محلّ الشاب المهندس النجّار وعلامات الحنق والغيظ تملأ وجهَه؛ اقترب منه الفتى وجلس بجواره وقال: "ابن عمي جالب المصائب ما الذي جنيته اليوم؟".

رَدَّ عليه هو الآخر بأنْ حكى له ما حَدَثَ معه ومع "علي"؛ وبالطبع وَبَّخَهُ بشدَّةٍ كما فعلت "آية" مع أخيها؛ فازداد "حسان" غيظًا لأنَّه كان يريد منه أن يُنصفَه ويقف في صفه فَهَمَّ بالخروج وهو مغتاظٌ بشدة: "دائمًا أنت هكذا يا (أكرم)؛ لن أخبرك بشيءٍ آخر".

ثم تركه وانصرف.

في اليوم التالي جلست "آية" وهي مُمْسِكَةٌ بهاتفها تتصفّح موقع التواصل الاجتماعي "الفيس بوك" فوجدت رسالةً في بريدها الإلكتروني من شخص يُدعى (أكرم عبد المعطي) وصورة صفحته الشخصية هي صورة الشاب النجّار الذي قابلتْه أمسِ؛ تعجّبت وفتحت الرسالة لتعرف ما هو مكتوب بها: "من النجَّار الأبله إلى الفتاة صاحبة الصندوق: ما رأيك في هذه التصميمات؟ مُرْفَقٌ صورٌ لبعض التصميمات الحديثة؛ فلتختاري منها ما تشائين".

تعجّبت منه بشدةٍ؛ كيف وجدَ صفحتَها؟! وزاد الأمر غيظًا على تعجّبها بكلامه الذي به سخرية وتلميحات غريبة؛ فأمسكتْ بالهاتف في غيظٍ وردت على رسالته: "من أين جئتَ بصفحتي ولمَ تتحدث بسخرية هكذا؟ وإن كنت ترى نفسَك أبلهَ فليكن"!

ضغطت علي زرّ الإرسال وأغلقت الهاتف!

كان (أكرم) يعمل في محل النجارة التابع لوالده ويساعده دون خجلٍ، ووالدهُ يشعر بالسعادة الشديدة؛ لأنَّ (الله) أكرمه بابنٍ بارٍّ هكذا فهذه الوظيفة لا ترقى أن يعمل بها لكونه مهندسًا ذا مكانةٍ مرموقة، إلا أنه لم يكترث إلا لسعادة والده فقط.

كان (أكرم) يعمل بجدٍّ دون كَلَلٍ، حين دَقَّ هاتفُه مُعلنًا عن قدوم رسالة إليه من الإنترنت؛ نظر للمرسِل وابتسم؛ إنَّها هي، أمسك بالهاتف مسرعًا وفتح الرسالة ليقرأ ما بها، وعندما أحس منها أنها غضبت هَمَّ بالرد بسرعة: "الحقيقة أنا كنت أداعبك ولا أقصد إثارة غضبك .. متأسفٌ لك".

كانت هي الأخرى بجوار الهاتف وعندما فتحت رسالته لم تقابله بالردّ عليها واكتفت بالمشاهدة، فوجدته يبعث لها بأخرى: "هل أعجبتك التصاميم؟".

رَدَّتْ بانفعال: "أي نجّار أنت؟ تبعث بأعمالك على الإنترنت، ما هذا؟".

_"حَسَنًا، لا أريد أن أثير غضبَك. سألتُ سؤالًا وأريد الإجابةَ، هل أعجبتك أم أغيّرها؟ .. هذا رسمٌ فقط ولم أَقُمْ بالتنفيذ بعد .. اختاري منها ما يعجبك وأنا أنفّذ".

_"حَسَنًا، دعني أفكّر".

obeikandl.com

بعثت برسالة إلى صديقتِها "خلود" بها الصور التي أرسلَها لها لتأخذ رأيَها؛ فأجابت صديقتُها بأيقونةٍ ضاحكة: "حَسَنًا يا "آية"، من هذا المهندس النجّار الذي يرسل تصاميم رائعةٍ كهذه يا عزيزتي؛ إنها تُحَفٌ فنية".

ابتسمت "آية" بينها وبين نفسها في إعجابٍ منها بتلك التصميمات!

في اليوم التالي بالجامعة، كانت هناك ندوةُ تنميةٍ بشريةٍ لطلبة (جامعة أسوان) وكان المكان مكتظًّا بالطلبة .. دخلتْ "آية" وصديقتها "خلود" متأخرتين على وقتِها وحاولا إيجاد مكانٍ بين المدّرجات خاليًا للجلوس فيه، سمعت "آية" شابًا ينادي من بعيد: "تفضلي آنسة "آية" اجلسي مكاني؛ سأقف أنا .. نظرت إلى مصدرِ الصوت .. كان هو (أكرم) ولكن بملابس أنيقة تختلف عن التي رأته بها في مكان عمله يحمل خلفه أدوات الهندسة على كتفه".

شَكَرَتْهُ وجلست هي وصديقتُها وكان المقعد ضيقًا؛ لأن المكان لا يكفي إلا واحدًا .. كانت المحاضرة شَيِّقَةً جدًّا، ولكنَّ الغريبَ بها هو ذلك الشاب (أكرم) والذي لم يرفع عينيه عنها؛ كلما أدارتْ برأسِها وجدتْه ينظرُ تجاهها ثم سُرعان ما يشعرُ بها وينظر إلى جهةٍ أخرى كأنّه لم يكن ينظر أبدًا!

بعد انتهاء المحاضرة، نادى عليها: "آنسة آية .. الليلةَ استلام الصندوق، أرجو أن يكون التصميم الذي اخترته قد نال إعجابك".

احْمَرَّتْ وجنتاها وأومَأت برأسِها مُعلِنةً موافقتَها وذهبتْ مسرعةً في خجل!

جاء وقتُ استلام الصندوق؛ بالطبع جَلَبَتْ معها صديقتَها "خلود" لأنها كانت تشعر بالخجل، هي لا تعرف ما الذي دفعَها لجلب صديقتها معها! هي فقط أحاسيس اعترتها؛ تارةً بالارتباك وتارةً أخرى لا تفهم ما الذي جال بخلدها ودفعها لعدم الذهاب بمفردها!

كان (أكرم) يستعد للقائها -وكأنَّه موعدٌ غراميٌّ- والسعادة تملأ وجهَه، حين دخلت أخته "سارة" وهي تنظر له وتغمز بعينيها: "أراك مُهتمًّا بهذا الصندوق، يا ترى ما سِرُّهُ الدفين؟".

_"حَسَنًا؛ اذهبي وأكْملي مذاكرتك أو ابحثي عن البعثات أيتها المجنونة بالهجرة واتركيني في حالي".

_"أنت تسخر مني؟ سوف ترى أين سأكون، ولكن والدَنا يرفض خروجي من مصر، رغم أنه حُلم حياتي".

-"أنا أدعمك عزيزتي؛ لا تخافي".

_"حَسَنًا، لا تهربْ من الحديث، أخبرني ما سرُّ الصندوق .. كلِّي آذان صاغية".

قاطعهم صوت "آية" من الخارج تنادي؛ فأمسكَ بالصندوق وهَرْوَلَ مسرعًا ناحيتها وأخته تضحكُ من خلفِه على فعلتِه، أغلقَ الباب في وجهها حتى لا تَتَلَصّصَ عليهما؛ فانطلقت "سارة" تنظُرُ من ثقب الباب المُطِلّ على محلِّ النجارة بالخارج وهي تَتَنَهَّدُ وفي داخلها تعلم بما يُكِنُّهُ أخوها ناحية الفتاة فالحب لا مَخْبَأَ له!

هو يعلم أنَّها تنظر من هذا الثُّقْب؛ فأمسك بِخِرقةٍ باليةٍ كانت أمامه ووضعها بداخله!.. واتجه بنظره لآية الواقفة أمامه وهو يحاولُ أن يستجمعَ قواه للحديث معها، فحينما يربَّى كلاهما على الأخلاق والقيم؛ يكون الخجلُ هو سيدَ الموقف!

لم يعرف كيف يبدأ حديثَه .. قَرَّبَ الصندوقَ ناحيتَها وأعطاها إياه؛ مَدَّتْ يدَها بالنقود فأحسّ الخجل وحاول أَلَّا يأخذَها منها لكنّها أصرّت؛ ثم وجد انه ليس هناك داعٍ لرفضِ النقود وأنَّ رفضَه سيزيد من غضبِها فأخذها على استحياء منها .. و"خلود" صديقتها واقفةٌ تنظر إلى كليهما وتستشعر ما يجول بمكنوناتهما الداخلية؛ فبادرتْ بشكره والثناء عليه وأمسكت بيدِ صديقتها وانصرفا سويًّا.

في الليل كانت "آية" تحاولُ أن تسيطر على عقلها الذي يفكر به كثيرًا؛ فهي لا تعلم من يكون! وممنوع عليها أن تُحِبَّ من خارج القبيلة النوبية بل ممنوع في الصعيد كله الحب .. الحب هنا كأنّه عارٌ؛ لو عُلم أنَّ أحدًا يُحب أحدًا كأنَّه كَفَرَ أو ما شابه، والكفر الأكبر لو كان من قبيلةٍ غير قبيلته .. ممنوعٌ هنا المشاعر فإن وُجِدَت خارج أبناء القبيلة؛ عليهم وَأْدُ هذه المشاعر فورًا.

كانت الشبكةُ العنكبوتية هي الملاذ الآمن دون أن يشعر أحدٌ بأي حبٍّ كان .. إنها رسالةٌ أخرى من ذلك الشابِ غريبِ الأطوار.. تساءلت بينها وبين نفسها: هل تفتح الرسالة؟ لقد انتهت الخدمة التي طلبتها، لماذا سيكون بينهما حديث؟ .. لكنّ شيئًا ما بداخلها لا تعرفه دفعَها لفتح الرسالة: "لَمْ تُخبريني يا "آية" هل أعجبك ما قمتُ بصعنه؟".

حاولتْ أن تكتبَ .. يداها ترتعدان خوفًا من مجاراته في الحديث، تكتبُ ثم تمسَحُ .. شعورٌ غريبٌ لأول مرة بداخلها يجعلها مرتكبةً لا تعرف ما الذي عليها صنعه؛ فأغلقت الدردشة في خوفٍ وخلدت إلى النوم!

هل انتهى كلُّ شيء؟ إنَّها الجامعة .. لن ينتهي أن تراه أو يراها .. إنها أمامه طيلةَ الوقت وهو أمامَها، لكنَّها حاولت تلاشيه إلى أن وجدته واقفًا أمام كليتِها؛ حاولت كعادتِها أن تدعي عدمَ رؤيته .. ابتلعتْ ريقَها ومضت مسرعةً بعيدةً عنه، اتجهت إلى محاضرتها .. مضت ساعة كاملة بعد انتهاء المحاضرة .. خرجت لتجده ما يزالُ واقفًا مُسَمَّرًا على أبواب الكلية لا يتحرّك .. ناظراه مثبَّتتان ناحيتَها؛ إنَّه الحبُّ الذي لا يفرق بين عربيٍّ وأعجميٍّ كما أراده (الله) .. إنها الإنسانية التي تُحب دون ممنوع أو عادات جاهلية .. إنه العشق الذي يباغتنا دون أن نعلم أسبابه أو كينونته .. إنها الفطرة التي حاول الكثير أن يشوّهَها حتى تتماشى مع قوانينَ دنيويةٍ تتنافى مع حدود الله وشرائعه!

وقفت وهي مرتبكة أمامه: "لمَ تتبعني .. هكذا؟ ماذا تريد مني؟".

_"آسف لقد كنت أريد أن أعرف رأيك في الصندوق .. إن لم يعجبك؛ صنعتُ لك غيره".

_"إن كان لم يعجبني؛ لمَ أخذته منك، كنتُ سأردُّه إليك ثانية".

-"حَسَنًا، اطمأننتُ الآن، أرى أنَّه أعجبك".

ابتسمت له وبادلته نظرةَ خجلٍ ومضت من أمامه، بداخله أراد فقط بسمةً صغيرةً من حبيبته، كان ما يحلُم به في تلك اللحظة أن يتذكر ابتسامتَها

.. هو لا يعلم ما الذي دهاه! لِمَ ينتظر منها ابتسامة أو نظرة لمَ يتذكّر تلك المواقف بينهما وكأنّها شريط ذكريات لا يَكُفُّ عن إعادة نفسه .. كانت الأيام القليلةُ تَمُرُّ كأنَّها سنون طويلة، حتى يراها، وكأنَّ الكون كلَّه توقّف عند ابتسامتِها وكأنَّ ضوءَ القمر استَمَدَّ جمالَه من تلك البسمة على شفاهها!

في أحد الأيام -وفي المواصلات خارج الجامعة تصطف السيارات في محاذاة بعضها وينادي كلُّ سائقٍ على وجهته- ركب سيارة الأجرة التي تركبها دون أن تنظر فتعرف أنه ركب معها، وجلست في صَمْتٍ كعادتها فوجدت رسالةً بهاتفها تدقّ معلنةً وصولها؛ فتحتها لترى ما هي .. إنه هو: "تبدين أجمل وأنت هادئةٌ هكذا"!

فاحمرَّ وجهُها وأغلقت الهاتف كأنَّها لم تَرَ شيئًا .. رسالة أخرى: "ما تزالين جميلة حتى وأنت غاضبة"!

نَفَخَتْ في غيظٍ؛ فضحك .. كانت الرسالة ترسل من خلفها؛ إنه هو؛ جالس خلفَها؛ تفاجأتْ وأنزلت رأسَها ونظرت إلى الأرض في خجلٍ شديد وابتسمتْ مرةً أخرى ولكنَّها سرعانَ ما قالت له في حِدَّةٍ: "ما الذي تريده مني؟".

تأسَّفَ لها ونزل من السيارة واستقل غيرها .. عادت إلى المنزل وهي في كل دقيقة تفتح هاتفها تتحسسه هل هناك رسائل أخرى منه؟ .. حَسَنًا، لا شيء . . بدأت تتوتّر وأحست أنَّها حمقاء على فعلتها معه .. ما الذي دهاها ولمَ تفكِّرُ فيه هكذا؟ لمَ تبحث عنه في رسائلِها بهذه الطريقة الجنونية؟ يا إلهي هل

يُعجبها؟ نَعَتَتْ نفسَها بالحماقة لمجاراة تلك الأمور وأقنعت عقلَها أنها ستنسى كلَّ شيء!

في تلك الأثناء كانت الأمور تزداد سوءًا مع "علي" أخيها ومع "حسان" ابن عم "أكرم"!

ما يزال الفتيان في حماقتهما ومشاكلهما المستمرة والكل لا يهتم فهي مجرد مشاحنات عابرة بين أطفال ليس أكثر.. "آية" لم تَكْتَرِثْ لأخيها وأحست أنَّها في حاجة إلى تغيير جو ورحلة ترفيهيةٍ لتنسى ما حدث معها؛ فسجّلت اسمها في الرحلة الذاهبة إلى جزيرة "دهب" بأسوان؛ جزيرة جميلة بها أماكن خلاَّبة اعتادَ الطلبةُ والناس عمومًا قضاء أوقات مُمْتِعَةٍ بها وَسَطَ ماء النيل، والخضرة التي تسلب العقول، والهدوء الذي يبحث عنه الجميع.

المعتاد أن يكون هناك قاربان واحد للشباب والآخر للشابات بأي رحلةٍ جامعيةٍ، والطلبة طيلة الوقت غناءٌ ومرحٌ ورقصٌ إلى أَنْ يصل القارب إلى وجهته المنشودة، هَمَّ الكلُّ بالنزول سريعًا والضحات تملأ المكان وكانت من ضمنهم "آية" التي أغمضت عينيها لوهلةٍ صغيرة وبدأت تَشَمُّ أنفاسَ الطبيعةِ الساحرةِ، ثم فتحتهما وقادتها قدماها وهي تتجوّل إلى استكشاف المكان، وهكذا دون أن تدري وجدت نفسَها قد ابتعدت قليلًا عن زملائها بالرحلة وكانت في مكان تكسوه الأشجارُ الصغيرةُ الشوكيّةُ، به رمالٌ ناعمةٌ، والشمس الحارقة تعلوه وأمامه مباشرة مياه النهر العذبة؛ أحست راحةً شديدةً لأنَّها كانت تبحث عن الهدوء بعيدًا عن الضوضاء الصادرة من زملائها، وبدأت

تتنفس الهواء العليل وتبتسم في سعادة بجمال المكان والهدوء به، فباغتها صوتٌ من خلف الأشجار:

-"حَسَنًا، أنا جالسٌ هنا، هذه المرة لم أتطفّل .. أنتِ من قدم إلى مكان عزلتي".

نظرتْ إلى مصدر الصوت والذي خرج من خلف الأشجار .. يا إلهي إنه هو! تسمَّرت في مكانها دون حراك منها؛ فقط تنظُر إليه ولا تدري ما الذي عليها فعله، ظل هو الآخر ينظر إلى عينيها وتلاقت الأعين في سحابات الحب الخيالية .. فدنا منها خطوة إلى الأمام:

-"يا إلهي! تملكين أجمل عيونٍ فرعونية رأيتها في حياتي .. من قال أن "نفرتيتي" هي الاجمل؟!".

حاولت الذهاب وحمرةُ الخجل تكسو وجهَها الجميل فاستوقفها: "لماذا تهربين مني .. هل أنا دَمِيمٌ إلى هذا الحد!؟".

_"بالطبع لا .. لكني لم أَعْتَدْ الحديث مع الشباب .. أنت تعلم .. لم يُرَبِّنا أهلُنا على تلك العادات الغربية".

_"وهل تسمعين مني حديثًا خارجًا أو كلامًا به أي تطاول!؟".

_"لا أعلم".

قالتها وابتسمت وهي تَهُمُّ بالذهاب، فاعترض طريقها ووقف أمامها: "ولا أنا يا "آية" لم أعتد أن أحادث الفتيات، ولست شابًّا تافها يهتم بصحبة

النساء من أجل اللهو .. أنا لم أفعل شيئًا في حياتي هذه غير العلم والدراسة والعَمَل مع والدي .. كان حُلم والدي أن أكون مهندسًا وقد حقَّقتُه له وأقسم لك أنَّني لا أعلم ما الذي يدفعني للحديث معك .. أو لرؤيتك .. أنا أصبحت أذهب يوميًّا إلى مكان كليتك فقط لأراك هناك .. بمجرد أن أنظر إليكِ؛ أشعرُ براحةٍ شديدةٍ .. تعلمين اليوم الذي ارتديتِ فيه التنورة الزرقاء .. كانت تبدو عليك علامات الحزن .. لا أعرف لماذا كدت أُجَنُّ وأذهب لأسألك أو أقتلَ من اقترف جرمًا تجاهك وجعل عينيك يشوبها الحزن .. حقًّا أنا لا أعرف لماذا أهتمُّ هكذا".

نظرت له في تعجُّب: "وماذا تسمي أفعالك هذه!؟".

_"لا أعرف" .. سكت برهةً .. ثم قال: "رُبَّما أنا أحبك!".

ازداد وجهُها خَجَلًا وأمسكتْ حجابا صغيرا يُسمّى "إيشارب" كانت تربطه في يدها كنوع من أنواع الموضة في الملابس، وهي مرتبكةٌ؛ فوقع منها على الأرض، فتركته وهمت بالذهاب مسرعةً .. تَتَبَّعَها ببصرِه إلى أن اختفت من المكان؛ فخرج هو الآخر وجلس وسط الشباب، وهي هناك بين الفتيات وعيناه ترقبانها أينما ذهبت وهي الأخرى تتبعه ببصرها وبمجرد أن تتلاقى عيناهما؛ تخجل وتنظر بعيدًا عنه في أي اتجاه إلى أنْ انتهت الرحلة.

مَرَّتْ ثلاثة أيام بعد تلك الرحلة الجميلة وهي لا تراه في الجامعة ولا تعرف عنه شيئًا؛ ففتحت صفحتَه في الفيس بوك لتتحسس أخباره؛ ووجدت منشورات أصدقائه تتمنى الشفاء العاجل له .. علمت من خلالهم أنَّه تعرض لحادثٍ وأنه مريض؛ كاد عقلها أن يطير.. لا تعرف ما الذي عليها فعله، كيف

تطمئن عليه؟ .. فارتدت ملابسها وذهبت مسرعةً إلى محل النجارة الخاص به .. وكأنّها مارَّةً بالصدفة -وليس لأنها تعمدت الذهاب- تنظر في كل اتجاهٍ؛ ولم تجده ولا تعرف ما الذي عليها فعله حتى تطمئن عليه .. كان والدُه جالسًا وسط الأخشاب، ولم يشعر بها، حاولتْ أن تسأله لكن حياءها منعَها؛ فعادت إلى المنزل مرةً أخرى وأمسكتْ بهاتفها وحاولت مراسلَتَه وهي تشجّع نفسَها حتى ترسل له الرسالة ولكنَّها تشجعت في النهاية وقامت بارسالها: "أتمنى أن تكون بخير؛ لقد علمتُ من منشورات أصدقائك أنَّك أُصبت في حادثٍ أليم".

وقبل أن تُرسل باقي الرسالة؛ كان ردُّه سريعًا عليها والسعادة تعتريه: "نعم، الحمد لله .. المنشار الكهربائي وقع علي قدمي وكاد أن يبترَها، ولكنه ولله الحمد جُرْحٌ بسيط طلب مني الطبيب الراحلةَ لمدة ثلاثة أيام في المنزل".

_"الحمد لله، أتمنَّى أن تقوم بعافية وصحة".

_"آية .. أنا سعيد جدًّا لسؤالك هذا .. يا ليت قدمي قد أصيبت منذ زمن".

_"لا تقل هذا .. استردّ عافيتك .. أتمنَّى لك الشفاء العاجل".

هكذا بدأ الحديث بينهما على الإنترنت .. في البداية للاطمئنان .. حديثٌ عابرٌ عادٍ، كان يزيدُ كل يوم عن الآخر .. بدأا يقصّان بعض أفراحهما وأحزانهما .. حتى أيامهم العابرة والمُمِلَّة كانت فيها لذة في الحديث .. كانا يقضيان الساعات الطوال دون كلل أو مَلَلٍ في أحاديث يجدُها الغير تافهةً

ولكنَّها تلهِبُ القلبَ شوقًا وحنينًا إلى الآخر وتُشبع الحُبَّ الذي كان يتغذَّى من هذا الحديث ليكبر كلَّ يوم ويصير أكبر من ذي قبل!

حتي جاء اليوم الذي فتحت فيه رسائلها ووجدت تلك الرسالة التي تنتظرها أي فتاة تحب:

" آية .. أنا أحبُّك".

فقط كلمتان "أنا أحبُّك" كانتا كفيلتين أن تقتل أي فتاةٍ تحب هذا الشخص من السعادة .. شعورٌ لا يوصف! من أُحِبُّه يرسل لي كلمة "أحبك" .. يا إلهي، ماذا تفعل؟ إنها أيضًا تُحبه .. هل تخبره أم تَسْكُتَ .. هل تقاوم الحب؟ ليس هناك سبيل للتراجع .. إنَّها في عرض البحر .. لقد أصبح قلبُ كليهما مشبعًا إلى آخره بحبِّ الآخر .. حاولتْ المقاومة لكنَّها لم تهتم .. لا يهم في هذه المرحلة .. نعم، إنَّها تُحبه .. أجابتْهُ بأيقونةٍ مبتسمةٍ .. وجهُها أحمر من الخجل وتملؤها السعادة .. وكأن في هذه الأيقونة تعبّر عن حالتها .. كاد أن يطير من السعادة بل كاد أن يجنّ تمامًا؛ ثم أرسل رسالة منه:

-"أتقبلين بي زوجًا .. لقد حَدَّثْتُ والدي وهو لا مانع عنده .. وأنا عند التخرج سوف أعمل معيدًا .. لأنِّي الأول على الدفعة -إن شاء الله- ووظيفتي مضمونة .. ما رأيك؟".

_"أنا موافقة ولكن .. من أي قبيلة نوبيّةٍ أنت ؟".

_"أنا لست نوبيًّا".

سكتت برهة وهي مصدومة: "يا إلهي .. إنه ليس نوبيًّا؛ سيموت قلبُها من القَهْرِ والحزن! لن يوافق أهلُها .. ترى من أين هو؟".

_"من أي قبيلةٍ أنت إذن؟".

قالها في حزنٍ شديدٍ وهو يعلم أنَّه حكم على حبها في هذه اللحظة بالإعدام -عندما علم أنّها ليست من قبيلته-: "أنا هلالي".

وأغلق هاتفه وانغلق في غرفته .. لا يعرف ما الذي عليه فعله .. قلبُه مشتعلٌ بالنيران وليس هناك سبيل أو حلٌّ في هذه المصيبة التي حلَّت عليهما .. ممنوع عليهما أن يتزوّجا .. حتى الحبّ سيكون جرمًا كبيرًا عليهما تحمل عواقبه!

أمَّا هي .. عندما تلقَّتْ رسالته وعلمت من هو؛ أَلْقَتْ بالهاتف، ووضعت يدها على فمِها .. تكتمُ صرخةً كادت تخرج منها عيناها .. تتساقط منها الدموع دون أن تشعر .. تغرق ملابسَها، وارتمت على سريرها .. لا تُحَدِّثُ أحدًا ولا تعرف ماذا تفعل!

في تلك الأثناء .. كانت النيران تشتعل بين "علي" و"حسان" على أشدها، كان "حسان" يأتي يوميًّا إلى منزل عمِّه ليخبره بخلافه مع "علي" ويحاول عمُّه تهدئَته ويكتفي بهذا، أمَّا (أكرم) فكان يحاول أن يتلاشاه؛ فما هو فيه لا يحتمل معه أن يسمع أي خلافات من أي شخصٍ كان .. كان يُحسُّ أنَّ العالم كلَّه قد توقف وأنَّه عاجزٌ عن فعل أي شيء!

لكنه لم يستطع الاستسلام؛ قَرَّرَ أن يتصرف وأنه لا بُدَّ أن يتواصل معها لإيجاد حلٍّ.

كلما دقَّ هاتفُها وكان هو المتصل؛ كانت تتنهد وتحتضن وسادتَها وتحاول الردّ على مكالمته .. ثم تخاف وتبتعد!

كَرَّرَ المحاولة عدة مرات؛ حتى اقتربت من الهاتف كأنَّها تقترب من جرمٍ كبير، وحاولت أن تشجّع نفسَها مرةً أخرى .. إنه زرٌّ صغيرٌ للإجابة عليه .. ثم إنَّها ستحاول أن تجد حلًّا حتى تنساه؛ لأنَّه ليس هناك سبيل إلا الانفصال.

أخيرًا ردّتْ على الهاتف: "نعم .. (أكرم)".

_"لمَ لمْ تردي على الهاتف .. ستقتليني بأفعالك".

_"تعلم أن ما تريده مستحيلًا".

_"فلنهرب .. سأترك جامعتي وكلَّ شيء من أجلك".

_"وهل تريد أن أضع رأس أهلي بالوحلِ .. كيف لي أن أفعل بهم هذا!؟".

_"فلنتريَّثْ قليلًا قبل الانفصال .. ربما هناك حلّ .. تعلمين أني أحبك كثيرًا، لقد أصبحت حياتي مستحيلةً بدونك".

_"أنا أيضا أحبك". قالتْها وصوتُ حَشْرَجَةٍ يخرج منها والدموع لا تترك عيناها .. أغلقا الهاتف وهما يحترقان ولكن عليهما أن يحاولانِ إيجادَ طريقةٍ أو طوقِ نجاةٍ لما هما فيه!

(المَعْرَكَة)

احتدم الصراع على أشدّه بين "علي" و"حسّان"؛ فكلًّا منهما يعتزُّ بقبيلته وبأهله وكأن لا اعتبار لدين الله هنا؛ لا اعتبار أنَّ الإسلام قد هَدَمَ كلَّ هذه الفتن والحروب الجاهلية .. لا اعتبار لله –عَزَّ وَجَلّ- الذي أمر: "واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا" .. كلُّ شيءٍ هنا بعيدٌ كلّ البعد عن تعاليم الإسلام!

وهذا ما جعل عليٌّ يضيق ذَرْعًا بحسّان؛ فيتواعدا على اللقاء بعد المدرسة وبالفعل بعد انتهاء اليوم الدراسي اقتتلا قتالًا شديدًا، وبالطبع كلا منهما له أصدقاء وأقارب من المدرسة لن يُعجبهم ما يحدث؛ فاحتدم الصراع وانقسم الصبيةُ إلى صفَّيْن؛ كل فريق إلى قبيلته انحاز وكبر الصراع أكثر وتخطَّى حاجز الوالدين لينال من أقاربهم مِمَّن في أعمارهم .. حاول المعلمون السيطرةَ على الصبية دون جدوى، وبعد انضمام بعض الأهالي من خارج المدرسة إلى جانب المعلمين استطاعوا السيطرة على الصبية وتفريقهم.

كان الكلُّ في حالة مُزْرِيةٍ؛ ملابس ممزّقة، ودماء تملأ كلَّ ركنٍ في أجسادهم الصغيرة .. بالطبع في هذه الحالة سيتمّ إعطاؤهم أمرًا باستدعاءٍ لولي الأمر.

كان "علي" قد استشاط غيظًا؛ فذهب في الليل إلى أبناء عمومتِه واتفقا علي الكيد للآخرين.

كانت المدرسة بجوار كلية التربية بأسوان حيث أصبحت الخُطَّة هي طلاء جدران كلية التربية بما يشفي غليلَهم وقاموا بملءِ الجدران كلِّها بكل أنواع السباب والكلام الجارح لأبناء القبيلة الأخرى؛ أفاق أهل "أسوان" على الشتائم هذه تغطِّي جدران الكلية كلِّها وصولًا إلى مدرستِهم.

عند مجيء أولياء الأمور؛ وجدوا السباب والشتائم من الفرقة الأخرى التي وقع عليها الفعل، الأمر الذي دفعهم وبقوةٍ إلى التَّصدي لهذا الأمر، وطلبوا مسح الجدران ومعاقبة الفاعل وبدأت المشاجرة بين الكبار.. احتدم الأمر إلى أن وصل إلى التشابك بالأيدي، ثم تطوّر إلى الرشق بالحجارة على بعضهم البعض.

حاول المعلمون السيطرة هذه المرة ففشلوا فشلًا ذريعًا، الأمر الذي اضطرهم إلى الاتصال بالشرطة ولكنَّ الشرطة جَاءَتْ متأخِّرةً بعد أن اتَّصَل كلُّ رجلٍ بأهلِه وعشيرتِه ليأتيَ لنجدته وكانت معركةً طاحنةً، وبدأ الضرب بالعصيان الخشبية والأسلحة البيضاءِ .. حاولتْ الشرطة السيطرةَ ولكن كان تفريقُهم صعبًا جدًّا؛ فأَلْقَتْ عليهم القنابل المُسيلة للدموع لتفرقتهم، الأمر الذي فَرَّقهم بالفعل ولكن الكثير من أهل المنطقة هرب بأطفاله من رائحة القنابل المسيلةِ والحربِ الدائرةِ والتي أصبحت وبالًا على كلِّ ساكني المنطقة .. بالطبع أسفرتْ الحربُ الطاحنة هذه عن العديد من الجرحى بين أبناء القبيلتين ولكنَّ الأمرَلم يتوقَّفْ عند هذا، بل كانت هذه البداية!

ذهب الرجال من بني هلالٍ إلى منازلهم والنار تأكلُ الجميع بسبب السباب والضرب الذي وقع اليوم .. بالطبع كان هناك شبابٌ متهوّرٌ لم يتعامل مع الموقف بحكمة وأحسّ الإهانة الشديدةَ واقعةً عليه؛ ورأى أنَّه لا بُدَّ أن يكون له دورٌ فيما يحدث لاسترداد كرامةِ قبيلتِه كما يرونها؛ فاتفقوا مع بعضِهم البعض وحملوا أسلحةً ناريَّةً وذهبوا إلى حيث مساكن النوبيّين وبدؤوا في التباهي والتفاخر وإطلاق الأعيرة النارية في الهواء .. وهنا كانت إرادة الله أن يكبر الصراع!

طلقةٌ طائشة من إحدى الأسلحة ثقبت قلب سيدةٍ عجوز كانت واقفةً تنظُرُ من خلف زجاج النافذة في خَوْفٍ فاخترقَتْه؛ وأردتها قتيلةً في الحال!

صَعِقَ الشباب ولم يعرفوا ما عليهم فعله إلا الهرب .. لم يُحسّ أحدٌ بها في بادئ الأمر إلا أهل بيتها وبدأتْ النسوةُ في الصُّراخ؛ وعلم الجميع موت السيدة العجوز؛ ومن هنا كان الاتفاق بين أبناء النوبة على الأخذ بالثأر وتعليم أبناء القبيلة الأخرى كيف سيكون ردّهم تجاه تطاولِهم هذا، واتفقوا على أن يكون ردُّهم قويًّا وقاتلًا!

كان هذا الحدث مساءَ يوم الأربعاء .. اتَّفَقَ الرجال على جَمْعِ ما يستطيعون من مالٍ وشراء أسلحةٍ ناريَّةٍ .. لن يغلبوا؛ فالسوق السوداء عامرةٌ بالأسلحة من كل نوع .. يُقال أنَّهم استعانوا بفرقةِ مرتزقة من (القاهرة) معهم ولكن الله -سبحانه- أعلم بالحقيقة من أين. كلّ ما نعرفه أنَّ الشباب كان على آخره وأنَّه كان متحمسًا للثأر بشدة!

في فجر الجمعة الموافق الرابع من إبريل عام ألفين وأربعة عشر حدثت في (أسوان) مجزرة كبرى لم تحدث في تاريخِها من قبل، حتى الاحتلال مَرَّ بمصر ولم يصب أهلها بما أصابها في هذه المجازر!

ذهب الشباب من أبناء النوبة وبالتحديد "الدّابودية" ومعهم أسلحة بيضاء وأسلحة ثقيلة وانهالوا على منزل الفتى "حسّان" في (زرزارة) والذي يبعد كثيرًا عن منزل (أكرم) ووالده وقاموا بإخراج الرجال تحت تهديدِ السلاح، الأمر الذي جعل النسوة تهرب؛ من استطاعت منهن. ومن لم تستطع حاولتْ الاختباء!

رجلٌ كسيحٌ كان على كرسيٍّ متحرّك قاموا بإخراجه معهم؛ قَيَّدُوا الأب صاحب المنزل والذي يضم عائلتين بداخله بأبنائهم وقاموا بِقَتْلِ جميع الرجال أمام والدِهم المقيَّد وأجبروه على النَّظَرِ إلى أولادِه وهم يقتلون واحدًا تلو الآخر، بل والتمثيل بجثثهم جميعًا أمام عينيه، أيضًا ثلاثة عشرَ رجلًا بطريقةٍ وحشيةٍ قاسيةٍ والأب يصرُخ من الألم والحسرة على أبنائه وقاموا بالتمثيل بجثثهم جميعًا وإحراق من استطاعوا منهم، حتى الرجل الكسيح العاجز لم يسلم منهم، ثم وضعوا الجُثَثَ على عَرَبَةٍ وطافوا بها أرجاء المدينة كلِّها وقاموا بتصويرِهم وإرفاق الصور في منشورات على الفيس بوك حتى يكونوا عبرة لمن يتطاول عليهم!

في هذه اللحظة تحوَّلت (أسوان) إلى مدينة أشباح .. الكل خائفٌ من الخروج من منزله والشرطة حوَّلت المدينة إلى ساحة قتالٍ حتى الجيش نَزَلَ بدباباته ومعداته وسيطروا على كل ركنٍ في المدينة وتمَّ فرض حظر التجوال ..

كان الخبر قد انتشر في كل وسائل الإعلام المحلية والعالمية أيضًا، كانت المرة الأولى التي تقتل الجثث ويتم التمثيل بها .. ربما في (مصر)، لم نشاهد هذا من قبل.

الاجتماع هذه المرة كان عند بني هلال في دارِ الضيافة بمنطقة السَّيل الريفي، كان الكل على استعدادٍ تامٍّ للحرب مع الخصم .. بالطبع في هذه اللحظة قُضي تمامًا على أي تعاليم لنبي الله -صلى الله عليه سلم- عن وحدة المسلمين!

بدأ الصمتُ يُخيّم على المدينة، حتى الأطفال مُنعوا من الذهاب إلى المدرسة، وبعض أبناء القبيلتين بدأَ في الفرار من المعركة والهجرة إلى خارج (أسوان) واللجوء إلى أقاربهم .. هناك بضعة أيام ولا شيء سوى الصمت .. هل كان الصمتُ الذي يسبق العاصفة؟ أُغْلِقَتْ المدارس والمحالُّ التجارية وحتى أفران الخبز وغيرها من المستلزمات الضرورية للحياة .. لم يستطع أحدٌ الخروج من منزله، والمرضى كانت لا تأتيهم الإسعاف خوفًا من حدوث مجزرة أخرى يكونوا هم طرفًا فيها هذه المرة.

بدأَ الشباب من بني هلال تجميع النقود كما فعل الآخرون وشراء الأسلحة للردِّ على ما حدث لهم لاسترداد شرف قبيلتهم، وبعد أن كان العقلاء من أبناء القبيلة يرفضون العنف سكتوا جميعًا عن رَدْعِ الآخرين من الذهاب للقتالِ وتركوهم يذهبون والكلُّ في حزنٍ شديد.

بدأ التجهيزُ والتخطيط لمعركة كبرى .. مَرَّتْ أيام ولم يُسمع حَثِيْثُهُم وما يزال الصمتُ سيدَ الموقف حتى حانت اللحظةُ الحاسمة وخرج الشباب على قرية يتواجد بها النوبيون وبدؤوا بإطلاق الأعيرة الناريَّة وإشعال النيران بالمنازل وقتلِ كلِّ من استطاعوا أمامهم من الرجال، وقتلوا سيدةً حاملًا بداخل منزلها لم تستطع الخروج؛ حُرِقَتْ بجنينها داخلها وتفحَّمت قبل أن يصلَ إليها أحدٌ وتحوَّل الأمرُ إلى انتقامٍ أكبر؛ مهما وُصِف لن يروى الحقيقة التي كانت والفزع بين النساء والأطفال وكأنَّنا عدنا بالزمن إلى الوراء؛ إلى تلك الحروب الجاهلية التي كانت بين القبائل قبل بعثة النبي -عليه الصلاة والسلام- رُبَّما الأوس والخزرج، بل كانت حرب البسوس تطل بوجهها هنا!

اجتمع العلماء وكبار الدولة لإيجاد حلٍّ لهذه المهزلة الكبرى التي حولت (أسوان) من مدينة سياحية هادئة وأهدأ مدن مصر إلى ساحة قتالٍ عنيف لم تشهدها مصر من قبل!

حاول الجميع إيجادَ حلٍّ للصلح بين أبناء القبيلتين دون جدوى، الكل يرفض الصلحَ وكان الحديث على أنَّ القتلى من أبناء بني هلال ثلاثة عشر ومن الدابودية "النوبيين" سبعة أو ثمانية؛ فالآخرون يريدون التساوي في القتلى وكأنَّنا أمام بعض الخراف تقتل هنا وليست هذه الناس نفسًا بشرية!

كان لكل قبيلةٍ مطالبُها من الحكومة حتى تهدأ، ولكن المفاوضات لم تُسفر عن صلح قط مما دفع الحكومة لتقديم فدية للقتلى؛ حتى يصمت الأهل عن الاستمرار في الأخذ بالثأر لكلا الطرفين!

بالطبع الإعلام لم يترك هذه الفرصة؛ كانت البرامجُ التلفزيونية تنهالُ عليهم لتصويرِ الأحداث بين الطرفين، وبرامج تستضيف من هنا وهناك تبثّ لقاءات بين أبناء القبيلتين، منهم من يُحاولُ الصلح ومنهم من يشعل النيران ليستقطب أعدادًا أكبر من المشاهدين.

توقَّفَتْ الحكومة عن المفاوضات بعد الفشل واتخذت قرارها بأنْ تُصمتهم عنوةً طالما أن الصُّلْحَ بينهما لم يُجْدِ نفعًا فقامتْ بإلقاء القبضِ على مئات الشباب من أبناء القبيلتين على حدٍّ سواء؛ لإخراس الأهل عن الثأر وأصبحت القبيلتان في نار أكبر بين قتلاهم الذين لن يعودوا وأبناءهم الأحياء في قبضة الحكومة الآن.

الثأر والنيران طالتْ الجميع والآن أبناؤهم خلف القضبان بل إن الحكومة أحالت أوراق أبنائهم إلى فضيلة المفتي في حكم إعدام أخرس الجميع؛ وتركوا الثأر وبدؤوا في البحث عن مخرج لأبناءهم بدلًا من الموت المحتوم عليهم .. كان هذا الحل الوحيد لإخماد نيران الفتنة!

obeikandl.com

(الغرفة)

الغريبُ أن الفتاتين بعد أن سمعتا الحكاية من (صادق) و(عبد العزيز) لم يشعرا بالخوف ولا الرهبة كما ظنَّ كلاهما؛ فقد استَمَعَتَا للحكاية بنوع من الهدوءِ، وأبدتا انفعالاتٍ عاديةً للموقف، يبدو أنّهما تعرضنَ لشيء أبشع مما حكيناه معهم ولكن هل ثمة سبيلٌ أو حلٌّ لما هم فيه!؟

بالطبع لم يكن بيدهما أي حل؛ فيبدو الحزن مُطْبِقٌ عليهما ويبدو أن قصتهما كانت أفظع مما حكيناه لهما. هكذا فَكَّرَ الشابان أو هكذا جال بخاطرهم .. والآن ما هي قصتهما؟

كلنا آذانٌ صاغيةٌ لنسمع؛ ربَّما خَفَّفْنا عنهما ما وضعناهما فيه من توتُّرٍ بطريقةِ الجَلْبِ الغريبة التي جاءت بهما إلينا؛ ففي النهاية سنظلُّ نحن لسنا أهلًا لثقتهن فما يزال الشكُّ يخيّم على المكان. إذن فلتبدأ أي واحدة منكما بالحديث!

قالت الفتاةُ النوبية: "لستُ في مزاجٍ للحكي؛ فقصتكما جعلتني أحزن أكثر.. فهل يخفي المستقبل لأحفادي هذا المصيرَ المظلم؟ لا أستطيع التحدث الآن .. اتركوني لبرهة حتى أستعيد أنفاسي".

نظر الكلُّ للفتاة العربية .. لقد حُسم الأمر.. ستتحدث هي أوّلًا .. فلتبدأ! تَلَعْثَمَتْ قليلًا وأغمضتْ عينيها، بل واستسلمت لأن تحكي ربّما لأنها تريد أحدًا يستمع لها .. أو ربَّما ما تحمله في صدرِها أقوى من أن يُسكت عنه!

(التَّغْرِيبة)

بينكم أنا (تيماء) عربيةٌ هلاليةٌ من الحجاز، اعتادت قبائلُنا على الترحال المستمرّ، وفي الوقت الذي قَرَّرَ فيه (أبو زيد الهلالي) أن يذهب إلى (تونس) بقافلة كبيرة؛ كنا نحن وبعض من عائلاتنا قد قَرَّرْنا الارتحال إلى شمال أفريقيا؛ بالتحديد إلى (مصر) رحلة كبيرة لا نعلم متى سنصل إليها؟ الطريق وعرورُبَّما يصادفنا ما لا يَسُرّ!

أَعَدَّ الرجال العُدَّةَ للرحيل، وَلَمْلَمْنَا نساءنا وأطفالنا، إنّها المرة الأولى لي أن أترك مكاني؛ فمنذ ولادتي وأنا وَسَطُ أهلي في البادية؛ لم أَرَ (مصر) هذه، سمعتْ عنها كثيرًا، رَبما من الدولة الفاطمية الحاكمة في وقتنا كانوا دائمًا ما يذكرونها بالخير.

سمعتُ مرةً من المرات أنها جنةُ الله في الأرض! كان يقول عمِّي ذلك، وعندما جاء الاختيار على (تونس)؛ رفض عمي الذهاب مع (أبو زيد) وقرر أنَّنا سنترحل إلى (مصر)، كنا كثيرين، أعداد مهولةٌ من الناس، ربما البلدة كلها انقسمت إلى من ذهب مع (أبو زيد) ومن ذهب معنا إلى (مصر).

كان عمِّي محبًّا لمصر بطريقةٍ شديدةٍ وذلك من خلال رحلات التجارة التي كان يذهب بها إليها وهناك من استقرَّ هناك من أصدقائه من أهل القبيلةِ على مدار سنوات وهم يعيشون في سعادةٍ لا توصف، كلَّما ذهب عمي

للتجارة؛ يجد أهلها مرحبين طيبين والهدوءُ يَسودُ المكان فَقَرَّرَ أن نرتحل إلى تلك البقعة المباركة من أرض الله.

الطريق طويلة جدًّا .. كم كنتُ أشعرُ بالتعب والإعياء. وكان علينا التوقُّف كثيرًا لملء المُؤَنِ والمياه لاستكمال الرحلة، طريق طويلٌ ووعرٌ جدًّا!

من بعيدٍ كان هناك صوتٌ غريبٌ .. نظرتُ إلى عمّي؛ فوجدته ينادي على الرجال ليتجمعوا بسرعةٍ؛ خفتُ وحاولت أن أختبئ .. شَعُرْتُ بأنَّ هناك خطبًا ما!

كان بالفعلِ هناك ما لا يَسُرُّ؛ فقطّاع الطرق التفوا من حولنا بسرعةٍ فائقةٍ وأسلحتُهم مُوَجَّهَةٌ إلينا .. أَمَرَ عمّي _وهو كبيرنا هنا_ أن يقوم بعض الرجال للفرارِ بالنسوة والأطفال بأقصى سرعة .. وأنا وَسَط أصوات السيوف .. اختبأتُ بداخلِ غطاءِ أحدِ الجمال الذي كان مربوطًا بالنخلة البعيدة وأنا أسمع صرخاتٍ في كلّ مكان لأناسٍ أُحبُّهم وتربيتُ وَسَطَهم .. كنتُ أرتعد من الخوف .. والصرخات تتزايد وأنا لا أعرفُ ما الذي يجري؛ كنت خائفةً جدًّا أن يُمسك بي أحدٌ منهم فيقتلني!

ثم هدأ الصوت عند قرب طلوع الفجر.. فتحتُ الغطاء قليلًا لأرى ماذا حدث؛ فوجدتُ أشلاء وقتلى في كلّ مكان .. لقد استطاع الرجالُ قتل كلّ قطاع الطرق ولكن بعد أن قتلوا هم أيضًا منا، حتى الأطفال والنساء وجدتُ أثر السيوف على رقابِهم وبطونهم ممن لحقوا بهم قبل الفرار.

إحساسٌ قاتلٌ أن أرى هذا! ناديتُ على عمّي وأنا أبكي وأصرخ، ووجدتُ واحدًا يتسَلّلُ من ورائي وحاول الإمساك بي بعد أن خرجتُ من تحت الغطاء؛ فصرختُ بأعلى صوتي ووجدتُ عمي وهو مصابٌ في بطنه إصابةً بالغةً يتحسَّسُ طريقَه من ورائي ويضرب الرجلَ بالسيف! أمسك بي واحتضنني، سألتُه عن أُمّي وأبي وإخوتي وأولاد عمي .. نظر لي والدموع تملأ عينيه: "لا عليك يا (تيماء) المُهم أَنَّنا أنقذنا باقي القبيلة .. أعتقد أنَّهُم على مشارف (مصر) الآن.

ربط جرحه وأنا كنتُ خائفةً جدًّا عليه فقد كان حزينًا فوق الوصف؛ لقد فقد كلَّ ما كان يملك، لم يتبقَّ له إلّا أنا الآن من نسله، تَعَكَّزَ على جِذْعِ شجرة حتى وصلنا إلى الجمل .. وبدأنا الرحلة التي كانت لم يتبقَّ بها إلا مسيرة يومٍ فقط لنكون قد وصلنا إلى (مصر) كانت قواه تخور أمامي شيئًا فشيئًا حتى لاحت (مصر) من بعيد في الأفق .. صرختُ: "عمّاه .. إنها (مصر) عمّاه، انظر".

وجدته وقد زاغت عيناه إلى السماء وهو لا يستطيع التنفُّس .. أمرتُ الجمل بالخضوع حتى أنزلَ أنا وعمّي .. حاولت أن أساعدَه في النهوض لكنه كان لا يستطيع، وأنا لم أَقْدِرْ بضآلة حجمي أن أحمله .. حاولتُ ولكنه أوقفني وهو يتحدَّثُ بصعوبةٍ بالغةٍ، كدت ألا أسمع صوتَه ونظر لي قائلًا: "تيماء حبيبتي، أتمنَّى لك حياة رغدة سعيدة، تذكري من أنتِ، أمسكي هذا الصك؛ إنَّهُ ملكُك الآن"!

أعطاني صَكًّا مكتوبًا به شجرة عائلتي كلِّها وأنسابِها، وأرخى رأْسَه تمامًا ثمّ مات!

أَمَرْتُ الجملَ أن يقوم مرةً أخرى وأمسكتُ لجامَه وأنا أمامه على أبواب (مصر) أحمل جثة عمي وقلبي ممزّق محروقٌ على أهلي!

بمجرد أن دخلت؛ وجدت من نجا من القبيلة في انتظارنا .. هرولوا مسرعين ناحيتي وأنا مُغَطَّاةٌ بالدماء .. أغلبها دماءُ عمّي .. لا أُحَدِّثُ أحدًا والكل يسألني: من تسأل عن ابنها، ومن تسأل عن زوجها ووالدها ممن اختارهم عمي لقتال قطاع الطرق.

لا أعرف ما الذي انتابني في هذهِ اللحظة .. وقفتُ وسط النساءِ الثكالى ومن يبكون أقاربَهم؛ صرخت بأعلى صوتي: "مِن الآن نحنُ في أرض (مصر) المباركة ستمتزجُ دماؤنا بدمائِهم .. سيكون ترابُهم هو ترابَنا؛ فلنجهز ونعد العدة لملاقاة ما سيلاقونه؛ لأنّهم لو خاضوا حربًا لا بُدَّ أن نكون أول من يخوضها معهم".

ذهبتُ واغتسلتُ، ومن هذه اللحظة وأنا أصحبتُ كبيرة القبيلة، حتى الرجال كانوا يأخذون رأيي في كل شيء .. دفنتُ عمّي وبكينا على أطلالنا، وذهب الكلُّ إلى أشغالهم وبقيت أنا أتدفَّأ بجوار تلك النار التي كانت تحملُ بقلبي جزءًا منها فما عاصرته لا يُنسى قط .. إلى أن لاح شيءٌ غريبٌ بداخلها .. حاولتُ الفرار ولكنه .. اختطفني إلى مكانكم أيُّها الشابان الغريبان والفتاة السمراء الأخرى!

(ريحانة)

سأحكي الآن قصتي؛ أنا (ريحانة) من أبناءِ النوبة .. كُنَّا نعيش في سلام وأمان وكانت بلادنا من أجمل البلادِ، اعتدنا أن ندهنَ البيوتَ باللون الأبيض الناصع، كنا نسكنُ في منطقة تُدعى (العلاقي) وكنا قرى كثيرةً متجاورةً في سعادة وهناء.

أتذكر طفولتي السعيدة التي لم يكن فيها إلا المرحُ والسرور؛ أفراح دائمةٌ، وحتى أحزاننا كانت لا تبقى كثيرًا؛ فدائمًا كنّا يدًا واحدةً لذلك كانت أحزانُنا تتوارى سريعًا لأننا من كثرة حُبِّنا لبعض لا نترك الحزن يتغلغل في قلب أي أحدٍ منا.

منذُ نعومة أظافري وكان ابنُ عمتي "عثمان" مكتوبا على اسمي فكان الأهل في ودّ وتراحم واتفاق على أن أكون لابن عمَّتي، ولم يكن هذا ضدَّ رغبتي قطّ؛ لقد كنت سعيدة جدًّا به فقد كنا متحابين منذ الصغر ومنذ علمنا أننا سنكون لبعضنا البعض.

لم يكن هناك من ينغّص علينا معيشتنا قط، واتفقنا على أن يكون عرسنا مع العيد حتى يكون العيد عيدين .. كان الأهل يستعدون بشراء الأغنام لذبحها وإقامة الولائم في الحفل، وربما كان البعض منهم يهادي الآخر بها؛ فلا داعيَ للشراء فالكل يد واحدة، لم يكن ليفرقنا أي شيء .. إلى أن قَرَّرَ الرئيس (جمال عبد الناصر) إقامة السد العالي بأسوان .. هنا كلُّ ما كنا فيه من سعادة وحب ذَهب مع الريح .. أو بالأحرى ذهب مع السد!

في البداية حاولوا رفع الأعمدة بالسد وإقامة هيكلِه، كان هذا بعد فرحي ببضعة أيام والذي كان عرسًا لا يُنسى .. ثلاث ليال من الضّحك المتواصل والزغاريد والسعادة المنقطعةِ النظير، كنت أرتدي (جرجاري الأسود) ومن أسفله عباءة مطرَّزة جميلةً تحمل ألوانَ الحياة النوبيّة كلها، لها بريقٌ لامعٌ من كثرة اللآلئ المنقوشة بها، وكنت أنا وحبيبي "عثمان" نرقص ونمرح، كان أجمل يوم في حياتي ودخلنا منزلنا عش الزوجية التي كنت أحلُم به طيلة حياتي!

ما أجمل هذا اليوم! أنا وحبيبي في بيتنا الخاص بنا .. أخيرًا "عثمان" معي يكاد أن يطير من السعادة وأخبرني أنني أجمل امرأةٍ رآها في حياته بل وقال لي أجمل كلام يمكن أن تسمعَه امرأةٌ من زوجها، كنت في السادسة عشرة عند زواجنا لكني أعي تمامًا ما أقوله؛ لست صغيرةً؛ أنا كبيرةٌ جدًّا، لقد كان "عثمان" لي العالم كله إلى أن قاموا بالبدء في بناية السد وهنا لم يخبرونا بأي خطرٍ محدقٍ بنا!

قريتنا والقرى المجاورة لنا، كنا عشرات القرى، كلنا أهلٌ وأحبَّةٌ إلى أن وجدنا المياه فجأةً تنهال على القرى تُغرقها وتأتي مسرعةً تجاه قريتنا محمّلةً بالجثث في كل مكان! الحقيقة، مشهدُ اقتراب الماء كان كالحُلم؛ لم يُصدق عقلي رؤية الطوفان حتى وجدتُ.. يا إلهي! لا أستطيع أن أنطقها .. لقد وجدتُ جثّة الجدّة من ضمن الجثث العالقةِ بالماء والتي نزحتها تجاهنا حيث كانت في السوق تشتري لي هديةَ العرس فقد كان اليوم التالي لعرسي مباشرة

.. كنت في صباح يوم عرسي عندما قَبَّلَ زوجي يدي ورأسي وهو يقول لي كلمة لن أنساها أبدا: "أريد صبيًّا يشبهك أنت".

"خجلتُ منه واحتضنتُه بقوة إلى أنْ فرَّقنا الماء والذي انهمر بشكلٍ عالٍ جدًّا .. انصبَّ علينا وكأن البحر قد ابتلعنا .. وأنا اصرخ .. لا أعرف أين ذهب زوجي .. حتى بيتي الجديد الذي لطالما حلُمت به تساوي بالتراب وأصبح لا وجود له .. أخذتُ أصرخ وأنادي على "عثمان" الذي جرفته المياه بعيدًا عني وأنا أسبح فيها، لا أعرف حتى أين أمي ولا أبي؛ الكل جرفته المياه وأخذت تبتلع فينا كأننا أسماك في قلبِ المحيط ولكنَّ الأسماك تستطيع العيش ونحن لا؛ سوف نهلك لا محالة .. هذا ما كان يجول بخاطري ساعتها فقط، نحن كنا الضحية؛ لم يُخبرونا بأي شيء حتى نبتعد لا نحن ولا حتى القري المجاورة؛ عشرات القرى مات أكثر أهلها في تلك المياه!

لم أشعر بقدمي ولا بجسدي؛ كنت لا أستطيع السيطرةَ على نفسي وأنا أجرف بهذا الشكل الفظيع وبجواري مئات الجثث لأهلي وأحبائي .. موقف لا يمكن أَن أنساه أبدًا، حاولتُ الخروج من الماء بأي طريقة لكنَّها كانت قوية جدًّا؛ أقوى مما تخيلتُ يوما، أمسكتُ بحجرٍ كبيرٍ يتوسّط الأرض أعلى من منسوب المياه .. لا أعرف إن كان جبلًا أم ماذا، لا أذكر إلَّا أنَّني أمسكتُ به وبقوة وحاولت ألّا أُفلته، والماء يجري من حولي كالطوفان؛ يجرف كلَّ ما يقابله في طريقه، إلى أن أصبح الماء تحتي أقلَّ مما كان؛ ربَّما يتوسَّط جسدي ولكنه هدأ عن جريانه.

لا أعلم كم الوقت الذي ظللت متمسكةً بالحجر هذا، ولا أعلمُ حتى أين أنا حين وجدتُ نفسي! ولكن كل ما أراه أمامي خرابٌ كبيرٌ في كلِّ مكان، وملابسي لن أقول إلا أنها كادت تتمزّق تماما من قوة الماء والذي كان يخرج من فمي وأنا أحاول أن أبصقه وأسعل بشدةٍ، حاولتُ أن أغرس قدمي في الوحل الذي يُحيط بي من كل اتجاه وأن أخرج من هذا الماء.

كانت الخطواتُ شاقةً جدًّا؛ المشي في هذا المكان كأنّني أغوص في رمال؛ كأنني أحاول الانتحار من الألم كلما خطوتُ خطوةً واحدة إلى الامام لكني قاومت!

كنت مرات كثيرة أقع وكأني أتخبّط في أشياء غريبة، كلما نظرتُ إليها وجدتُها جثثًا، حاولت ألَّا أنظر وتابعت تقدُّمي إلى أن وصلتُ إلى بعضِ قوات الجيش، من بعيد تنادي ومعهم عرباتٌ كبيرةٌ يحملون الناس فيها فوق بعضهم البعض.

العربات كانت بمثابة عربات الموتى؛ فالكل متعَب ومتهالك مما جري له؛ لا يقوى على الجلوس في مثل تلك السيارات، لم يكن هناك سياراتُ إسعافٍ قط لتنقذني أو تنقذَهم؛ كل ما هنالك هي تلك السيارات الكبيرة تحملُنا والكلُّ فاقد الوعي .. نُساق ولا نعرف إلى أين نذهب!

وجدتُ عربات أخرى كثيرةً تقوم بتهجير سكانِ القرى المجاورة بطريقةٍ تعسُّفيةٍ قاسيةٍ، والناس الأحياء منهم لا يختلفونَ عن الذين ماتوا غرقًا؛ فالعربات كانت تلقي بالناس فوقَها بطريقةٍ صعبةٍ وقاسيةٍ .. الأطفال تصرُخُ .. وكان أفظع منظر لسيدة حامل في شهرها الأخير ويبدو أنَّها ستلد .. تصرُخ

بشدة من الألم؛ أمسك بها بعض النساء وأخفوها بسرعةٍ حيث التفوا حولها ليخبئوها من الرجال حتى تضع وليدها .. وليس هناك وقت لانتظارها في مكانها؛ فالماءُ كان يُغرق كلَّ شيء وكان علينا التهجير من أرضنا رغمًا عنا.

وإنهم لم يرجعوا لنا لنختارَ الرحيل أم لا؛ كان قرارًا ولا بُدَّ أن يُنفَّذ دون مرعاةٍ لنا ولا اعتبار لبشريتنا حتى حياتنا لم تكن لها قيمة.

أخذتْ العربات تمشي بنا وأنا في صدمةٍ كبيرة وأُصبت بالإعياء الشديد وبالحمَّى؛ فأنا وحدي؛ ليلة عرسي أصبحتُ كاليتيمة؛ لا أهلي ولا زوجي؛ اقتربت مني النسوة يحاولون تدفئتي ببعض الملابس التي استطاعوا حملها.

وأنا أَرْتَعِدُ من البرد والإعياء الشديد أغمضتُ عيني وأنا لا أستطيع مقاومة النعاس من التعب؛ ارتميت على جنبٍ، لا أشعر بأي شيء في جسدي! أَلَمٌ لَمْ أشعر به من قبل، وصحوت .. كم مكثت نائمة؟ لا أدري.

صحوت وأنا أصرخ وكأني شاهدت كابوسًا أن بيتي تحطّم، وزوجي ضاع مني وأمي وأبي وكل أحبائي؛ نظرت من حولي لم يكن كابوسا، لم أكن أحلُم؛ لقد كانت حقيقة!وجدتُ نفسي وسط صحراء مُقْفِرةٍ وأناسٍ لا أعرفُهُم، يبكون بجواري، الكل يحاول أن يعثر على أقاربه وسط الدمار الذي كنا فيه، هَرْوَلْتُ مسرعةً وأنا لا أرى أنَّني مصابة في قدمي إلا بعد أن وقعت لأنَّها لم تَقْوَ على حملي؛ بدأت أصرخ وأنادي؛ لم يكن هناك مجيب.

مَرَّ أسبوعٌ كاملٌ وأنا أحاول أن أُقاوم مع من بقي ممن هُجِّروا، منهم من وجد عائلته كاملةً، ومنهم من فقد بعضها. ولكن أنا الوحيدة التي لم أجد

أحدًا من عائلتي، هل كنتُ أنا الوحيدة حقًّا أم أنَّ هناك غيري؟ كنت لا أُحدث أحدًا من الصدمة لدرجة أن بعضَ النسوة كُنَّ يشفقن عليَّ ويأتين لي بالطعام ويجلسن بجواري محاولة منهنَّ للتخفيفِ عني فيما أنا فيه .. كم كانوا أناسًا طيبين!

سمعتُ صوتًا من بعيدٍ وجريتُ مسرعةً؛ إنه صوت أبي؛ كان ينادي؛ يبدو أنّه كان يبحث عني طيلة هذه الأيام "ريحانة" .. ألم يرَ أحدٌ منكم ريحانتي .. ابنتي ريحانة". كانت إصابتي قد تعافتْ إلى حدٍّ ما؛ فهرولتُ مسرعةً وأنا أصْرُخُ "أبي .. أبي".

فتح ذراعيه واحتضنني بقوَّةٍ وهو يبكي: "ابنتي! حمدًا لله .. آه يا الله .. وجدت ابنتي .. الحمد لله الحمد لله".

كم كانت سعادتي لا توصف! شَعُرْتُ ساعتَها أن الله -سبحانه- استجاب لدعائي وأن هناك أملًا أن أجد باقي عائلتي وخاصةً أن معه أختي "ورد" الصغيرة .. حمدا لله على لَمَّةِ شملِنا من جديد!

حتى كانت ليلةٌ باردةٌ جدًّا .. كان الناس يُشعلون الحطبَ للتدفئة، وأنا لا أشعر بالنوم .. الكلُّ نائم وسواد الليل في كل مكان والقمر ضوؤه خافت؛ فذهبت إلى حيث النارُ مشتعلةٌ وأنا أتنهَّد وأتذكَّر حبيبي "عثمان" إلى أن وجدتُ النارَ تعلو وتعلو؛ وفَجْأَةً أحاطت بي من كلِّ اتجاه ثم وجدتُ نفسي هنا معكم .. لا أعلم أين أنا، ومن أنتم، وكيف أَدْلَفَتْ النارُ بي بداخلها إلى أن جئتُ في بيتكم الغريب الأثاث هذا، وملابسكم أيضًا، وبالطبع أرجو منكم أن تعيدوني إلى حيث أتيت".

(آية)

كنتُ نائمةً بعد أن أسلمتُ راياتِ قلبي لهذا الحبّ المجنون الذي لن يكون له نهاية سارَّة؛ هكذا أراه مُمْتَدًّا كما شعاع اخترق أحشاء الزمن الذي يرفضه بشدة .. هل ثمة سبيل أو بارقة أمل فيه؟ هل سَيُتوّج هذا الحب يومًا بالنجاح كغيره من قصص الحب العادية!؟

حين بدأت المعركة وقُتلت السيدة العجوز؛ لم أرَ في وجه أخي "الضياء" إلَّا الشرر؛ في البداية كان يوبّخ "علي" أخانا الصغير على فعلته، لكنه اليوم أصبحَ طَرَفًا في النزاع، واليوم علمت أن حُبِّي قد قُتل .. الحرب بدأت بين عائلاتنا مثل (روميو وجوليت) ليست هناك سبيل للصلح إلا بالموت .. بل ربما الموت أيضًا لن يكون سبيلا للصلح بينهم.

الوعكات الصحية التي كانت تُصيبني في السابق وكنت لا أُعيرها اهتمامًا بَدَتْ هذه الأيام تزورني باستمرار .. زائرتي القديمة أصبحت لا تفارقني .. لطالما رفضتُ الدواء وكَرِهْتُ الأطباء ثم ما ضَيْرُ الجسد ببعض الحمي البسيطة؟ سيوقفها الدواء بالتأكيد هكذا يفعل باستمرار.

بعد قتل أبناءِ عمومتي أبناءَ قبيلة (أكرم) وأبناء عمومته؛ توقّف الحديث بيني وبينه تمامًا؛ كلانا علم أنَّها النهاية وأنَّ ما بيننا الآن، من السخافة الاستمرار فيه. ولكني لا أعلم لمَ قلبي يبحثُ دائمًا عن أملٍ! لم يَمُتْ حبُّه بداخلي لحظةً واحدةً؛ كان مشتعلًا ولكنه مُنْهكٌ خائفٌ.

أسمع أصواتَ صريخٍ الآن قادمةً بالقرب من منزلنا؛ ربما الجيران، ما الذي يحدث؟ حاولتُ أن أعرفَ ولكني فوجئت بأمي تدفعني وأخي "علي" وتَزُجُّ بنا في الغرفة الصغيرة المظلمة أسفل الدرج وتغلق الباب، بيني وبين نفسي خَمَّنْتُ أنَّها الحرب قامت بيننا وبينهم من جديد، أصوات الصرخات تتعالى وطلقات النيران تكاد تثقب أذني .. احتضنتُ أخي الصغير والذي حاول الخروج ولكني منعته وترجيتُه أن يبقى معي، هكذا أمرت أمي.

أسمع من بعيد صوت أمي وضياء أخي يحاول الخروج بالبندقية وهي تمنعُه، أسمع صوتها خارجًا من المنزل، بالفعل لم يستمع لها؛ لطالما رفض الانصياع للأوامر .. ثم هدأَتْ الأصوات وأصبحتُ لا أسمع صوت أمّي لكني أحسست حرارةً شديدةً دفعتني إلى الخروج وأخي من الغرفة بسرعة شديدة .. كانت النيران مشتعلةً بمنزلنا؛ تلتهم كلَّ ما تقابله أمامها، بسرعةٍ أخرجتُ أخي وخرجتُ بأعجوبة بعد أن أُصبت إصابات طفيفة من الحروق على جلدي ولكني لم أشعر بالألم قط، كل ما كان يجول بخاطري هو أنْ أعلمَ ما الذي يجرى وهل أمّي وأخي بخير؟ كان علي أنْ أطمئن عليهما.

أصوات الإسعافات في كلِّ مكان الآن؛ لقد أيقنتُ تمامًا أنه ثمة قتلى؛ وضعتُ يدي على قلبي وأنا خائفةٌ أن أرى أمّي أو أخِي بين القتلى فقلبي لم يعد يحتمل بعد أي جروح!

أخذتُ أُهَرْوِلُ وأخي تركني وجرى مسرعًا يبحث عنهما وأنا خلفَه لا أتمالك نفسي من الرعب، لا أعلم إلى أينَ أذهبُ، تقودني قدماي إلى حيث يجري أخي والناس معه، استوقفني شيءٌ خفت منه بشدةٍ، وقفتُ وكأنَّ على

رأسي الطير وتسمَّرتُ في مكاني لا أقدر على الحراك .. أمّي جالسةٌ على الأرض، عيناها جاحظتان تنهمر منهما الدموع دون حراكٍ منها وأخي "ضياء" مُمَدَّدٌ أمامها غارقًا في دمائه دون حراك!

بسرعةٍ حاولت أن أَضَعَ يدي مكان جروحِه وأوقف النزيف لكن الجروح كانت كثيرة وغائرة؛ لم أستطع أن أُسَيْطِرَ عليها ولا أن أوقف نزيفَ الدماء الذي لا ينقطع هذا. وجدت عينيه علقتا بالسماء ومن حولِه جثثٌ أخرى، لم أكترث للنظر لمعرفة من هناك أيضًا ملقى بجواره؛ فكل ما كان يهمني في هذه اللحظة أن أخي قد مات وأنَّ الصدمة شلَّت عقلي عن التفكير تمامًا!

في اليوم التالي كانت الحرب قد هدأتْ والجثث قد دُفنت وتوارت بالتراب .. أُمّي وكل من قتل أبناؤهم رفضوا ارتداء الأسود ورفضوا أخذ العزاء كما تفعل أي قبيلة لديها ثأر؛ وكأن من مات واقفٌ أمامَنا الآن ينتظر أن تجفَّ دماؤه بدماءِ قاتله، وكل الأرواح التي غابت عنّا لا بدّ أن تغيب مقابلها أروحٌ أخرى.

بعد هذه الحادثة لا أعلم لماذا أُحِسُّ أنني أكره من أحببت .. أصبح عقلي مشوشًا أكثر من ذي قبل، أحسست أنني لا أريدُه، حتى إنني لا أريد النظر إليه .. لم يكن هو الفاعل لكنَّ شعوري لا أعرف كيف أصفه، حقًّا لا أعرف كيف !..

مَرّتْ فترة والشرطة تحاول التهدئة دون جدوى، والآن أخذوا العديد من أبناء قبيلتي ومنهم أبناء عمومتي وأقاربي وأنا ملتزمة الصمت، ربما أخذتُ هذا الصمت من أُمي فدائما ما تخبئ مشاعرها وتكتم بداخلها ولا تبوح لأَحَد.

جاء "علي" من الخارج يحملُ في يده الجرائد، كالعادة بها أخبار عما يحدث هنا، بعضها صادقٌ وبعضها أحاديثُ ليس إلا، لكني لم أَكْتَرِثْ .. ثم وقعت عيناي على ما أفزعني بقوةٍ؛ أسماء المقبوض عليهم، أمسكتُ بالجريدة مسرعةً أقرأ الاسم مرارًا وتكرارا ربما خانتني عيناي؛ إنّه (أكرم)! يا إلهي! من ضمن المقبوض عليهم، اسمه أمامي الآن، إنَّه هو، لا أعلم ما ألمّ بي في هذه اللحظة، أحسست تلك الأحاسيس يوم مات أخي وكأنها تُعاودني من جديد.

زادتْ شجوني وأحزاني أكثر فأكثر، حتى مَرَضِي أصبح صديقي الآن، لا يُفارقني البتة .. حاولتُ طرده بالدواء ولكن الدواء لم يُجْدِ نفعًا.

مرتْ الأيام بل الأشهر سريعة جدًّا وأنا لا أتحدَّثُ مع أحدٍ ولا أذهب إلى الجامعة، أُتابع الأخبار على الفيس البوك؛ إنَّها أَصْدَقُ ما أراه في الإعلام من أخبارٍ متخبّطة تحمل في طيّاتها الصواب والخطأ.

وجدت رابطًا على صفحات الفيس بوك لفيديو -يتناقلُه الشباب بينهم- للنطق بالحكم من داخلِ قاعةِ المحكمةِ تمَّ تصويره بكاميرا هاتف؛ فتحتُه في عجالةٍ وأنا أنتظر التحميل المُملَّ البطيء أن ينتهي لأرى وأعرف ما الذي يحدث.

كان التصوير ليس واضحًا، ولكن يظهر الصورة بطريقةٍ إلى حدٍّ ما تجعلك تتعرَّفُ كلَّ الموجودين فيها، الكلُّ يصرخ إلا شابًّا مسالمًا جالسًا خلف القضبان معهم لا يفعل شيئا ولا حتى ينفعل كما يحدث الآن، اقتربتُ من الصورة جيدًا وقمت بتكبيرِها وعرفتُه .. إنَّه هو حبيبي (أكرم) خلف القضبان ينتظر الحكم عليه هادئًا كعادته، ينظر للكاميرا باستمرار، لا أعرف

هل يراني أم ماذا من تلك النظرة الغريبة وكأنها موجهة تجاهي؛ تذكّرت الآن أنه على علمٍ أنَّني أُتابع أَخبار كلِّ شيءٍ من الفيس بوك، ربما ينظر لي حقًّا ويعلم أنني أُشاهده.

طلب المحامون تأجيلَ القضية وانتهى الفيديو على هذا، لكني أحسست رعشةً غريبةً تسري بجسدي كله، قرأتُ التعليقات وكانت غيرَ مُطَمْئِنَةٍ؛ الكل يقول أنهم سيُعدمون، سيُقتلون؛ حبيبي أيضا سيموت! .. أحسست شيئًا غريبًا يسري بداخلي؛ ثم أظلمت الدنيا من حولي ولم أستطع السيطرةَ على نفسي!

أفقتُ الآن، أنا في مشفى، لا أعرف ما بي؛ الرؤيةُ مُشَوَّشَة، أحاول أن أرى أمامي، بدأ النظرُ يعود لي تدريجيًّا حتى رأيت الطبيب والممرضة وأمي؛ الحمد لله، إنَّها أُمِّي ولكن لأول مرة أشاهد أمِّي تبكي وهي تَعَضُّ على يديها؛ ما الذي هناك؟ ما الذي دفع أُمِّي لهذا؟ يبدو أَنَّ هذه المرة فوق احتمالها؛ نظر لي الطبيب وابتسم ورَبَّتَ على رأسي قائلًا: "لا تخافي؛ فالعلاج الكيميائي الآن يعطي نتائج مذهلة؛ ستشفين بإذن الله، ولكن لا بُدَّ أن تَهْدَئِي؛ النفسيّة أَهَمُّ ما في الأمر".

وتركني وذهبَ؛ علمت الآن ما الذي بي، مَنْ هذا الزائر الثقيلُ الذي لا يفارقني؟ إنه السرطان ينهش جسدي كما ينهش الآن قلبي من الألم والحسرة، الآن لا أهتم لموتي؛ فأكرم أيضًا سيموت، سنموت سويا .. نعم، كيف لي ألَّا أُفَكِّر في هذا من قبل؟ لم يكن إلَّا الموت هو الرابط الوحيد الذي يجمعنا سويا.

كيف غاب عن عقلي هذا!؟ كيف لم أُفَكِّرْ من قبل في شيء سيجعلنا سويًّا دون أن يتدخل أحد في حبنا؟ كيف لم أُفَكِّرْ أنَّ عند (الله) ليس هناك تفرقة ولا قبلية ولا أي من تلك الأمور الدنيوية السخيفة؟ سنجتمع يا (أكرم) أخيرًا .. أيُّها الموتُ الرحيم، فلتأت الآن ولتكن رؤوفًا بأرواحنا المُعَذَّبَة!

obeikandl.com

(أكرم)

لا أُصَدِّقُ أنَّها تهتمُّ بي، إنَّها لحظةٌ فارقةٌ في عمري .. نتحدث سويًّا في أمور عامة، لا يُهِمّ، لا أهتم لكوني أكلت أم لا، ما يُهِمّ هو الحديث معها .. نظراتُ الخجل في عينيها عندما تلمحني بالجامعة تُشعلني عشقًا .. كم أنا مُتَيَّمٌ بأدقّ تفاصيلها!ملامحها الصغيرة، وابتسامتها التي تفوق ابتسامة أي فتاة أخرى.

لا أدري إلى أين سينتهي بنا المطاف، ولكني أخاف من نهايتنا .. محكوم عليها بالفشل، لن تعترفَ لي بِحُبِّها ولكني أراه في عينيها، وأرى خوفها من أهلها أكثرَ من حبِّها لي .. وأعلم أنَّ أَوَّلَ رجل من عائلتها سيتقدم لخطبتها ستختارُه لتهرب مني، دائما ما أتساءل هل هي تُحبني أم تخافني؟ لستُ أدري! عقلي مشوَّش، أسئلةٌ كثيرة تجول بخاطري، أريد أن أعرف إجابتها، أنا أحترق من الداخل كلَّما فكَّرتُ في أنَّها لن تكون لي .. يا إلهي ساعدنا!

البارحة لا أعلم حقًّا ما الذي دفعني للشعور بالغَيْرَةِ الشديدة من هذا الشخص الذي رأيتُها تقف بجواره وتتحدَّثُ معه، ربما يكون أخاها أو ما شابه ذلك، لا أدري ولكني لا أتحمَّلُ السكوت؛ سأبعث لها برسالة لتخبرني من هو:

-"من هذا الشخص الذي كان واقفًا معك؟ مجرد فضول، أريد أن أعرف".

_"إنه أخي ضياء".

يا لَحماقتي؛ كنت أظنُّ أنَّه أخوها، ليتَها لا تغضب مني ولكنَّه لا يُشبهها كثيرا .. يا إلهي، ما الذي حلَّ بي .. إنني أقضي الليالي الطوال لا أفكّر إلا بها .. أنتظر حديثَها في لهفةٍ شديدة وكأنَّ روحي كانت هائمةً ووجدتْ طريقها بين نبضات حبها .. يا لَهذا الحُبِّ الغريب! إنه يمتلكك، نتجاذب سويًّا الآن أطراف الحديث على الفيس بوك .. إنَّها مَرِحةٌ جدًّا وتضحك على نكاتي البلهاء .. لا أستطيع النوم إن لم أحدّثها كلَّ يوم .. كم أريد أن أُخبرها عن مدى عشقي لها!

بضعة أيام مَرَّتْ الآن على واقعة المدرسة والسيدة العجوز التي قُتلت وأنا لا أستطيع الحديث معها، لقد توقَّفت بيننا المحادثات تمامًا، حتى الأمل أظنّه مات الآن.

ولكن ما هذا الصوت؟ خرجتُ مسرعًا وأنا أُهرول على أصوات صرخاتٍ للنساء والأطفال بالخارج وأصوات طلقاتِ رصاصٍ من بعيد .. لا أعلم ما الذي يجري، صريخ النساء في كلِّ مكان حتى إنني لا أستطيع أن أعلم إلى أين عليَّ أن أذهب لنجدتهم، هناك سيدةٌ تجري ناحيتي قادمةٌ من بعيد لا أراها جيدًا؛ سوف أقدم عليها لأقترب منها؛ ربما تحتاج نجدتي، يا إلهي، من ورائها نسوةٌ كُثُروأطفال .. رجال المنطقة كلّها تهرول ناحية أصوات الطلقات، الكلُّ يحمل ما يقدر عليه من سلاح، المكان بعيدٌ عنا إلى حدٍّ ما، سيدة من اللاتي يهرولن وقعتْ أمامي الآن وأنا أحاول إفاقتها وهي تصرخ بطريقةٍ هيستيرية .. سأقوم بتهدئتِها ومساعدتِها على النهوض ثم أذهبُ مع الرجال.

كانت تلهث وتتحدث بصعوبة:

"ماتوا .. قُتل كلُّ من في المنزل؛ ذُبحوا كالخراف"!

ثم أغشي عليها .. أوقفتُ سيدة من نساء البلدة كانت تجري وطلبتُ منها أن تساعدها حتى أستطيعَ أن أُساعد أنا الرجال في تلك الحرب الدائرة، وبمجرد أن وصلت إلى المكان _كان الوقت قد تأخر تمامًا_ وقفتُ في صمت لا أعي ما حدث! هنا مشهدٌ لن تنساه ذاكرتي أبدا .. عمي واقع على الأرضِ مقيدًا بالأغلال والرجالُ يقومون بفك قيده .. لم نجد من أصدر الطلقات؛ ربما أصدروها بعد فعلتِهم لينهونا أو ما شابه.

الأرض مليئةٌ بالدماء ولكن أين الجثث؟ حاولنا إفاقة عمي .. يا الله إنه قهرُ الرجال كان يبكي كصبيٍّ صغيرٍ ويشير إلى ناحيةٍ بعيدةٍ ويخبرنا أن نذهب تجاهها .. أسرعت أنا وبعض الرجال معي _وتركْنا عمي_ إلى الناحية التي أشار إليها.

يا إلهي! تجمَّدُ الدم في عروقي وأنا أرى هذا المشهد؛ عربة عليها الكثير من الرجال القتلى، لم أَكَدْ أعرفهم من كثرة الحروقِ بهم والطعنات التي شَوَّهَتْهُم، يا إلهي! إن الجثث مُمَثَّلٌ بها، اقتربنا منها والكل مصدومٌ .. حاولنا أن نتعرف عليهم .. لقد تعرفت على واحدٍ منهم الآن؛ إنه "حسان" ابن عمِّي، يا لَلخنجر الذي طُعن في صدري من المنظر! إنه صبي صغير مشوَّه تمامًا؛ لا تكاد ملامحه تظهر؛ عرفتُه من علامة الحسن على ركبته، إنها مميزة ولها شكل غريب، بدأْنا في إنزال الجثث واحدة تلو الأخرى وكانوا جميعًا لأبناء عمومتي .. ماتوا جميعًا؛ كلهم قتلى!

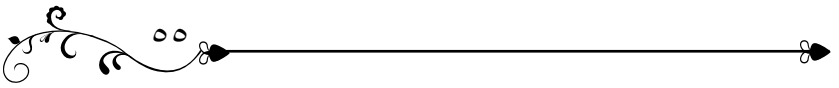

قمنا بإنزال الجثث كلها وامتلأ المكان بالرِّجال الغاضبين، يضربون أسلحتهم في الهواء ويتوعَّدون بالردِّ القاسي وأنا أحمل جثث أبناء عمي مع باقي الرجال، لا أعلمُ شعوري في هذا الوقت، كنتُ أشبهَ بِدُمْيَةٍ تحرّكها الحبال؛ توقَّفَ كلُّ شيءٍ بي حتى إحساسي بالوقت مات تمامًا.

(أبي) واقف من بعيدٍ يستندُ على أخي الأكبر "عصام" .. أراه يموت؛ وجهُه تغيَّرَ وكأنه أصبح لديه مائة عام الآن، أجلسَهُ أخي "عصام" ووقف في وسط الرجال هاتفًا: "احملوا قتلانا إلى قبورهم، ولْنُصَلّ عليهم الآن، لن تقام جنائز هنا ولن نأخذ عزاءهم أبدًا إلَّا بعد الثأر من قاتليهم"!

أنزلَ أبي رأسَه وظلَّ صامتًا؛ علامات الحزن والحسرة تعتريه؛ لطالما رفضَ أبي العنف وكان يوبِّخُ أخي عليه، وجدتُه الآن صامتًا ولم يردع أخي عن أفعاله؛ تركه يفعل ويقول ما يحلو له.

كان (عمي) قادمًا من بعيد، يسنده بعضُ الشباب إلى مثوى أبنائه والدموع لا تُفارق عينيه، رأيتهما تنظران إلى أبنائه نظرةً لا توصف؛ نظرة وداعٍ وحسرةٍ وألمٍ ودموعٍ ومرارة، نظرة تحملُ كلَّ أسرار المعاناة بهذا العالم الكئيب.

بل لقد رأيتُ نفسي أنظرُ تلك النظرة معه، أُودعهم وأودّع حبِّي معهم؛ سيُدفن الآن حبي مع أولاد عمومتي؛ سأدفن حبي معك يا "حسان" إلى الأبد، أعلم ذلك جيدًا.

اجتماعات متكرّرة لأبناء عمومتي جميعًا من كلِّ مكان للأخذ بالثأر .. أخي الأكبر "عصام" أراه يشحذ سلاحَه الآن، أعلم أنَّه سيقوم بمصيبةٍ كبرى، حاولتُ ردعه خوفًا عليه لكنَّه نَهَرني وجرى مسرعًا مع الشباب الغاضب بالخارج، كان عليَّ أن أبقى مع والدي المريض، لن يتحمَّلَ الصدمات، وعمي قرَّر البقاء بمفردِه في منزله. عليَّ أن أبقى لأحمي أختي وأبي وزوجة أخي وأطفاله الصِّغار؛ كان على قِلَّةٍ منا أن تبقى تحرس المكان، والباقون ذهبوا لا أعلم إلى أين.

كنتُ أرى بريدي الإلكتروني خاليًا ولكني لم أبحث عنها؛ فأنا أعلم أنَّنا انتهينا هنا؛ ليس هناك سبيل للرجوع بيننا فالدماء حسمت القضية!

أيامٌ قليلةٌ وحدثت المجزرة الثانية؛ لقد هجموا على القرية المجاورة لنا؛ يا إلهي! إن بها "آية" .. دعوت (الله) أن يبقيها بخير .. بعد أن سمعت بما حدث فيها من مجازر؛ هرولتُ لأفتح الفيس بوك وأعرف الأخبار فالأخبار تأتي في ساعتها؛ رأيت السباب والشتائم في كلِّ مكان من كلا الطرفين .. قرأتُ بسرعة أسماءَ القتلى؛ يا إلهي! بينهم "ضياء" أخو "آية" .. يا الله! من بين كل الناس لم يجدوا إلا أخاها! ولكن إن كان هو أو غيره، لمَ أكترث الآن؟ إن موضوعنا قد انتهى وقتل مع أقاربنا ولكن قلبي به غُصّةٌ شديدةٌ لا تقوى على التحمّل.

دخلتْ أختي "سارة" وهي تبكي: "أخي، هل كل شيء انتهى؟ هل أصبحنا مدينة أشباح؟ هل سنظلّ هكذا إلى أن يأتي علينا الدور؟".

هَدَّأْتُها وأخذتها في حضني، صغيرتي الجميلة لقد أُخْتِيرَت أخيرًا في منحة للتعليم خارج مصر، ولكن مسكينة، في ظلِّ هذه الظروف عليَّ أن أقف بجوارها؛ لن أتركَها: -"اسمعي يا حبيبتي، أنت أردتِ منحةً طيلة حياتك وها هي فرصتُك؛ لن أتركَك هنا؛ سأكون بجوارك حتى تكملي حلمك".

-"أنت الوحيد الذي يقف معي في أَحلامي .. "عصام" أخونا سيمنعني من الذهابِ، ثم كيف أذهب وأترككم هكذا؟".

_"لا تكترثي بنا؛ نستطيعُ العيش .. اسمعيني جيدًا؛ هذا طلبي منك فلتكملي أحلامك ولتعيشي بعيدًا عن بلاد الظلم .. فلتعيشي في الحرية ولتنعمي بالحياة التي حُرمنا منها .. كم ستكون سعادتي وأنا أراك سعيدةً؛ أرجوك حقِّقي أحلامي".

أخذت تبكي في أحضاني وتعدني أن تكون عند حسن ظنِّي!

صوتُ طرقاتٍ شديدةٍ على الباب .. أسرعتُ لأفتح .. كان "عصام" يحاول أن يُخبئ بندقيتَه؛ فعلمتُ أنَّ هناك من يتبعُه؛ أخذتُ منه البندقية وأنا لا أعرفُ أين أخبؤها، لكنّي رأيت نظرةَ عينيه كلّها علامات نصرٍ؛ لقد كان مع القتلة، بل لقد كان القاتل مثلهم.

أبي لا يقدر على الحراك؛ فنظر تجاه أخي قائلًا: "الدماء لا تأتي إلا بالدماء يا ولدي، الثأر نار تأكل الأخضر واليابس .. كفي موتًا وخرابًا"!

صرخ أخي "عصام": "يكفيك يا أبي .. هل كنت تريدنا أن نعيش أذلاء!؟".

_"لا يا ولدي، حرمة الدماء، أخاف عليك أن تقابل (الله) وفي يدك دماء مسلمة معلقة في رقبتك .. ماذا ستخبر (الله)؟ ما هي حُجَّتُكَ أمامه وأنت ارتكبت خطيئة لا تغفر؟".

طرقاتٌ على الباب شديدة .. يا إلهي! إنَّها الشرطة .. توقَّف الزمن بي وأحسستُ أنَّني أمام عائلتي وهي تنهار؛ أولاد أخي أيتامٌ بدونه، وأبي لا يقوى على تربيتهم في هذه اللحظة، وبعد أن مات حُبِّي ليس هناك سبيلٌ لبقائي .. أنا أيضًا عليَّ أن أُضَحِّي ليعيش أخي ويربِّي أبناءه؛ إنَّه الأكبر؛ إنَّه عمودُ العائلة كما علَّمني أبي ثم إنني لا أريد الحياة؛ لا طعم لها الآن!

وقف الضابط يصرخ: "أين الشخص الذي دخل هنا ومعه سلاح؟ من منكم؟".

أخرجتُ السلاح ووقفتُ بقوةٍ: "أنا هو الفاعل".

علامات الصدمة اعْتَلتْ أبيْ، وأخي حاول أن يُخبرهم أنَّه الفاعل ولكنَّ السلاح الذي كان في يدي أكبرُ دليلٍ على أنَّني الفاعل؛ أشار الضابط إلى باقي أفراد الشرطة الواقفين فأسرعوا بوضع الأغلالِ في يدي وتقييدي .. نظرت إلى أخي والابتسامة على وجهي يملؤها الأسى والحسرة: "أوصيك بأبي وبأختنا "سارة" .. إنها وصيتي لك، اترك "سارة" تسافر وَقِفْ معها .. إنهما أمانة في عنقك الآن"! وتركتهم وذهبتُ مع الضابط .. جري أخي مسرعًا وراء الضابط يحاول أن يشرح له أنَّه الفاعل ولست أنا .. لكن الضابط أزاحه من طريقة ولم يُعِرْهُ اهتمامًا وألقى بي داخل عربة الشرطة.

سُحبت مع بعض الرجال وتم إيداعُنا إلى السجن، نظرت إلى نفسي داخل السجن وتعجَّبتُ حينما كنت ألوم المجرمين وأتعجَّبُ ممن يدخلون السجون؛ الآن أنا واحدٌ منهم.

مَرَّتْ فترةٌ وجيزةٌ، سمعت بعدها من أبي الذي كان يزورني باستمرار أنَّ كل محاولات الصلح باءت بالفشل، وأنَّ هناك من هجر (أسوان) هاربا خارج أسوارها التي أصبحت بلون الدماء الآن! بعدها بأيّامٍ قليلةٍ وجدتُ السجن قد اكتظَّ بالرجال من بيننا وبينهم وتم ترحيلُنا جميعًا إلى سجن قنا العمومي.

الغريب أنّ الرجال لم يقتربْ أحدٌ منهم من الآخر ولا حتى بالسباب، لا أعلم أخوفًا من السجّان أم أنَّهم اكتفوا من الدماء التي أُريقت، بعدها تعرَّفت على بعضهم وعلمتُ أنَّ أغلبَهم أُخذ عشوائيًّا لإجبار الأهل على الرضوخِ لأوامر الحكومة ليتم الصلح وعدم الخوضِ في القتال مجدَّدًا وأنَّ أغلب المسجونين لم يقترفوا أي جرم كان.

كان من بين السجناء قريب "آية" إنه ابن خالتها، علمتُ بالصدفة قربَه منها عن طريق سماعي لحديثة بالخطأ عن أخيها ومنذ ذلك الحين وأنا أتبعه لأعرفَ الأخبارَ دون أنْ يَعِيَ أنَّني أتلصَّصُ لأعرفَ أخبارَها؛ ما يزال القلبُ ينبضُ بحبِّها وأنا من ظننتُ أنني دفنتُه مع من ماتوا ولكني دفنتُ أحلامي بأن تكون لي ولم يُدفن حبِّي قطّ.

بالطبع كنّا نملك هواتف داخل السجن؛ نمرِّرُها دون أن يشعر السجّان بها، نعرف بها أخبار عائلاتِنا، وجدتُه في أحد الأيام مهمومًا؛ فجلستُ خلفَه لا أعرفُ ما الذي يجرى دون أن يشعر بي وكأنّي أقرأ أو ما شابَهَ، لا يُهِمُّ، أريد أن

أعرف ما الذي هناك، إنَّه يبكي الآن على "آية" .. ما هذا؟ إنَّه يُحبها أيضًا ولكن لِمَ يبكي عليها؟ ما الذي جري لها حبيبتي .. أنا أسترق السمعَ وقد اقتربتُ أن أضربه لأعرف ما بها ولكن عليَّ أن أتمالك نفسي.

أوقعتُ ما بيدي عندما سمعت ما جري .. لقد أصيبت حبيبتي بالسرطان وهي لا تقاومه؛ كدت أموت؛ ساعتها تمنيتُ لو أنَّه تزوّجها وأن أراها سعيدةً؛ عليَّ أن أراها تموت وأنا هنا لا أقدر على شيء!

اختبأت في الحمّام وأخرجت هاتفي وفتحت الإنترنت .. بعثت لها برسالة لكن لا شيءَ .. لم تردّ عليها .. انتظرتُ كثيرا والنار تنهش في قلبي وأنا أكاد أُجَنّ عليها ولا سبيل للوصول إليها .. هنا أُريد أن اسمع صوتَها، أريد أن أطمئِنَّ عليها .. حاولتُ مرارًا الاتصال بها دون جدوى!

إذن النطقُ بالحكم في القضيّة لا يُهم أيًّا كان الحكم؛ فأنا اخترتُ ألّا أعيشَ بدونها، اقتادونا إلى المحكمة .. اليومَ جِلْسَةُ النطق بالحكم؛ لم أَعُدْ أكترث لأي شيء .. ضجيجٌ في كلّ مكان، والكلّ يصرخ أنَّه ليس الفاعل، والأهل يبكون على أبنائهم، ولكن القاضي قال كلمته وانصرف.

تم الحكم علينا جميعًا بإحالة أوراقنا إلى فضيلةِ المُفتي؛ إنَّه إعدام، أنا أنظر الآن إلى كاميرا أمامي بهاتفِ أحد الشبابِ الذين يقومون بتصويرِ الجلسة .. أعرف أنَّهم سيقومون بنشرِه على الإنترنت .. نظرتُ للكاميرا حتى تراني .. أنا لا أزال أحتفظُ بربطةِ يدها في جيبي؛ أخرجتُها وأنا أقلِّبها بين يدي وعيني تجاه الكاميرا حتى تراني؛ ربَّما تشعر أنّني أتمنى الموت على أن أعيش دونها، بل أنا أموتُ معها الآن!

(سارة)

سنحت لها فرصةُ السفر بفضل المنحة التي حصلت عليها، خرجت "سارة" من قِبَلِ أحداث دامية من رَحِمِ أحبابها إلى غياهب الدنيا!

وَدَّعت (أكرم) أخيها بقلبِها وودّعت عائلتَها كلَّها والدموع لا تنفكّ تَتْرُكها، والغريب هو أخوها "عصام" الذي يبدو أنّه تغيَّرَ تمامًا بعد أنْ ضحَّى (أكرم) بنفسه من أجلِ العائلة، ووالدها الذي أصابته الأمراض وأصبحَ طريحَ الفراش، هي الآن بالمطار مهاجرةٌ وتاركةٌ كلَّ ماضيها خلفَ ظهرِها ومعها المعلمون المُوَكَّلون بتوصيلها، و"عصام" أخوها فقط من عائلتها واقفٌ كأنَّه ليس هو، يُوَدِّعُها بعيونٍ تكادُ تصرخ في وجهها .. ارجعي؛ كفى الفراق! ألم يَكْفِنا ما حدث؟ عيون آسفة على ما فعله بنا جميعا، حتى وقوفه في وجه الثأر يبدو أنَّه صار نادمًا عليه!

أعطى لها ورقةً ونظرَ لها في صمتٍ، وودَّعها، وطلب منها أن تفتحها بعد أنْ تقلع الطائرة بالفعل وفَوْرَ ركوبِها .. بداخلِ الطائرة وبمجرّد أن بدأتْ تقلع؛ فَتَحَتْ الورقة كما طلب منها أخوها وبدأتْ تقرأ ما بها في لهفةٍ وشوقٍ ودموعٍ لا تنفكُّ تُفارقُها:

-"حبيبتي "سارة" لا تلتفتي وراءك .. تعلمين أنني من يدعمك دائمًا في أحلامك، أريدُك أن تصلي إلى أعلى المراتب كما عهدتك دائمًا وكما وَعَدْتني، لا

تُحاولي الرجوع إلا بعد أن تحقّقي أحلامك هذا طلبي منك .. أُحِبُّك .. (أخوك أكرم)"!

سالتْ دموعُها واحتضنت الورقة، والأَلَمُ والمرارةُ كلّ ما يتواجد بقلبها الآن .. كان وضعها لا تُحسد عليه، مسافرةٌ إلى دولة العلم والحضارة، مقبلةٌ على حياةٍ جديدة بعيدة كل البعد عن العصبية القبيلة والدماء التي خلَّفتها وراءها .. ولكن هيهات للقلب أن يفرحَ في وَسَطِ كلِّ هذه الدموع والأحزان .. عليها أن تُحاول الآن، بل لا بُدَّ لها أن تجعل وصية أخيها لها حقيقةً .. عليها أن ترفع رأسَه كما طلب منها.

في أثناء الرحلة -بالطبع لا بُدَّ لهم من دخول مطار (القاهرة) أوّلا حتى تجتاز إلى مطار (أمريكا) من بعد طائرة (أسوان) التي أودعتهم إلى مطار القاهرة الدولي_ الطريق بدا طويلًا في وَسَطِ الأحزان التي هي فيها الآن حتى حطَّتْ الطائرة بمطار(نيويورك).

كِلا الشابين الَّذَيْنِ وقع عليهما الاختيار للبعثة _فقد كان معها شاب يُدعى "وليد" طويلُ القامة، أسمرُ، مفتولُ العضلات إلى حدٍّ ما، لم يتركْ هاتفَه منذ بدايةِ الرحلة وهو دائمُ الاتصال بأهله، كلاهما الآن بعيدٌ عن تُراب الأم، وفي أكناف بلدٍ بعيدٍ كلِّ البُعْدِ عن الدين ولكنّها تحمل تعاليمه بغرابةٍ شديدةٍ_ عليهما الذهاب أوّلًا إلى السفارة لضبطِ أوراقهما:

-"اسميكما كاملًا من فضلِكما".

_"أنا سارة عبد الصمد".

_"وأنا وليد عبد العزيز".

رَحَّبا بهما وأَرَوْهما أماكنَ سكنهما وعملهما الجديد، بالطبع الفتى الذي كان دائمَ الاتصال بأهلِه انقطع عنه الخطُّ الآن؛ فقد وصلا إلى أرضٍ بعيدةٍ عن الوطن وخَطُّه ليس دوليا .. حاول مع السفارة للاتصال بأهله، يبدو عليه علامات الحُنق والضيق الشديد .. يُتَمْتِمُ بكلماتِ سبٍّ وغيظٍ في غُرَمائه من (بني هلال) .. كان الشابُّ نوبيًّا، في هذه اللحظة اقتربت منه "سارة" ولا يُعجبها أفعالُه المُشينة من هذا الحديث التي لا ينفكُّ يتركُه منذ أن حَطَّتْ أقدامهم على أرض الغربة .. تجاهلهما؛ فنظرت له في غيظ:

"اسمع يا هذا، يبدو أننا في مركبٍ واحدٍ، أرجو لك الانتباه للسانِك، وأن تتوقَّفَ عن سَبِّ أهلي وعشيرتي .. لقد أنذرتُك بهدوءٍ الآن وإلَّا ستندم كثيرًا"!

ضَحِكَ الفتى: "هل أنتِ منهم؟ لقد اكتملتْ إذن .. أوف ما هذا العفن!؟".

استشاطت غيظًا واقتربت منه: "أرى العفن يخرجُ من عقلك الخرب أيها الأبله".

انتبه الموظّف القائم لخلافهما وتدخّل ليهدئ الوضع بينهُما وجَعَلَهُما يَكُفَّان عن المشاحنات؛ في هذه اللحظة وقف أحدُ الأساتذة ووجّه حديثه إليهما في لهجةٍ حادةٍ: "اسمعا أنتما الاثنين، لا أُريد كلمةً واحدةً منكما؛ وإلا عدتما أدراجكما من حيثُ جئتما، ولنعتبر هذه المنحة لاغيةً، هل كلامي مفهوم هنا؟".

بعد الانتهاء من الأوراق تم نقلهم إلى فندقٍ تابعٍ للمؤسسة التي سيعملون بها، وكان مكان العمل يعطي غرفةً كبيرةً لكل من يعمل به مُلْحَقَةً بالفندق، ويقوم العمال بخدمتهما وتقديم وجبات الطعام المختلفة لهما بعد أن أوصلهما المصعدُ إلى الطابق الذي يوجد به غرفتيهما؛ دخلتْ وأغلقتْ الباب بشدَّة خلفَها محاولةً تلاشي النظر له.

بالغرفة كانت "سارة" تَتَذَكَّرُ ما حدث والحُزْنُ يملأ قلبَها، خرجت لتستنشقَ بعض الهواء المُنعش من الشُّرْفة المُطلَّة على الشارع مباشرةً، كان عقلُها مُشَوَّشًا؛ أحلام تمنّتها تحقَّقت، وحرية أرادتها نالَتْها، بل نالت العِلْمَ وكلَّ شيء ولكن فقدتْ الأهلَ. كيف لها أن تطمئِنَّ عليهم؟ الآن أخذت ترجو (الله) _عَزَّ وَجَلَّ_ كثيرًا أن يرحمهم ويساعدهم .. المنظر المُطلّ أمامها لأناس يمشون بِحُرِّيَّةٍ في كل مكان هنا حيث لا أبيض ولا أسود سيفرق، كادتْ تتحسّر على ما عاشتْ فيه ثمَّ حاولت أن تهدأ لتُكْمِلَ وصيةَ أخيها لها!

بالغد كان عليها استلام العمل في المعملِ؛ فقد تمّ اختيار بحثها من ضمن الأبحاث المؤهِّلة للعمل به، ولقد كان بحث الشاب "وليد" من ضمن الأبحاث الناجحة أيضا، وموضوعه مقاربٌ إلى موضوعِها حيث الاثنان قد قدَّما بحثًا رائعًا في (الفيزياء الحيوية) بالطبع المعمل الجديد بأمريكا كان يختلفُ اختلافًا كليًّا عن (معمل كلية العلوم بأسوان) والذي كان منبعهما الأول لتعلم العلوم الكيمائية والفيزيائية أيضًا، الأدوات حديثةُ الصنع والمكان فخمٌ جدًّا، كان كلاهما يتلاشى الحديث أو مجرد الاحتكاك بالآخر، وكانت الطبيبةُ المشرفةُ عليهما دكتور "الن ويلسون" -والتي لها مكانةٌ عاليةٌ

بالدولة هنا- قد لاحظت هذا الخلافَ بينهما .. هي سيدةٌ من الطبقة الراقية شقراءُ زرقاءُ العينين، تبدو في عقدها الخامس، لم تتزوّج أو تنجب أولادًا؛ فقد كَرَّسَتْ حياتها للعلم فقط.

يبدو أنَّ الطبيبة كانت تنحاز لجانبها النسوي في "سارة" التي بدأتْ تتقرَّبُ منها وتربطها علاقة طيبة، وفي محاوله منها لتخفيف العداءِ والحزنِ الظاهر عليهما قَرَّرَتْ أن تُخرجهما لرؤية معالم البلد معها؛ لتنحي خلافاتهما جانبًا.

وقع الاختيارُ في نهاية الأسبوع والتي هي إجازة مقدَّسةٌ لدى الأمريكان، لا بُدَّ أن يقضوا فيها أَمْتَعَ الأوقات وأن يتناسوا العمل .. وقع اختيارها على مطعمٍ في وسط المدينة يبدو أنَّهُ غالِ الثمن فخم للغاية، جلست الطبيبةُ وفي صحبتها الشابان وهي هادئةٌ كعادتِها؛ فكانا يتلاشيان النظر إلى بعضِهما البعض، بالطبع حاولتْ أن تتسامر معهما و"سارة" تبتسم في خجلٍ وتسكت.

جاء النادل لتلقي طلباتهم، وجدتْ على وجهيهما العبوس والبغضاء تجاه بعضهما البعض وطلبوا منها هي أن تختار لهما فاختارت لنفسها كأسًا من البراندي، وعصير البرتقال لهما كبداية إلى أن يجهّز العشاء .. ابتسمت لهما وقالت: "أعلم أنَّكما مسلمان ولن تشربا معي (البراندي) فاخترت عصيرًا؛ أتمنَّى أن يعجبكما".

شَكَرَا لها تفهُّمَها وحسنَ تصرفها معهما ثم أكملت حديثها: "أعلم سِرَّ خلافكِما جيدًا .. لا بُدَّ أن تتعلما أنَّ الأمور العائلية في العمل لا مكان لها ..

عليكما أن تنسيا كلَّ ما كان، أعلم أَنَّهُ صعبٌ؛ فأنا تابعتُ الأحداث على التلفاز، لكنَّ هذا أصبح ماضيًا الآن .. اتفقنا؟".

"سارة" في غيظ: "إنهم يريدون امتلاكَ كلِّ شبرٍ في (أرض مصر) .. لم يكيفِهم شيء ثم الآن يقتلوننا".

"وليد": "إنَّها بلادُنا .. أنتم الدُّخلاء".

كلاهما كان يشيط غيظًا من الآخر؛ فأمسكت الطبيبةُ بيدِهما سويًّا؛ كل واحدٍ منهما في يد وابتسمت: "اسمعا يا صغيرين، ألستُما تتشاركان الآن هذه الأرض؟ وقد وافق أجداد كليكما وَرَحَّبا ببعضٍ؟ سمعتُ من صديقٍ لي مسلم أنَّ هناك مهاجرين، وأنصارًا رَحَّبُوا بهم وأعطوهم أرضَهم لأنَّهم يحبونهم .. أليسَ كذلك؟".

صمت الاثنان وَأَوْمَأَا برأسيهما بالموافقة على كلاهما؛ فأكملتْ حديثَها: "لا تجعلاني أغضبُ منكما، ثم إن هناك تقريرًا أسبوعيًّا يُطلب منِّي عن كلِّ من يعمل بالمعمل أُريدُه أن يكون في صالحِكما".

فَهِما تلميحاتها؛ وعاهداها ألا يُكَرِّرا أي تصرُّف خاطئ مَرَّةً أخرى؛ ابتسمتْ كعادتِها وربَّتتْ على يد كليهما: "أعدكما أن يكون هناك جانبًا ترفيهيًّا كلَّ أسبوعٍ لكما؛ فأنا فخورةٌ بكما وبعملكما الجادّ وعقلكما المنير، تبهراني في المعمل يا شباب كلما دنوت منكما".

سعدا بحديثِها وأكملا السهرة معها في هدوء!

مضى أسبوعٌ جديدٌ، وكما وعدتهما الطبيبة بالرحلات الترفيهية فهذه المرة قادتْهم إلى مكانٍ عالٍ؛ مرتفعاتٍ جبليةٍ يقوم الهُواة بالقفزِ من فوقها بعد ارتداء الملابس الخاصة وربط حزام الأمان جيدًا .. هؤلاء القوم يستثمرون الإجازات ولديهم أماكن رائعة.

المكان مذهلٌ، وسعادة الناس الواقفين وصراخهم بعد أن يُلقوا بأنفسهم، وضحكاتهم التي تتخلَّل الصرخات مما يجعل (الأدرنالين) يتدفَّقُ في الجسم- يُضفي عليه شعورًا مميزا جدًّا .. هناك من يخافُ؛ فيقفُ متفرّجا ويقوم بتصوير أصدقائه، وهناك من يقفزُ بالفعل. وقفت "سارة" في سعادةٍ وعيناها تملؤهما الإثارة والتحدي؛ فاقتربت ممن يربطون الأحزمة للناس _هؤلاء المختصين بهذا الأمر- وربطت حزامَها جيدًا وأحكمت غلقَه ثم فتحتْ ذراعيها وأخذتْ نفسًا عميقًا واقتربت من حافَّةِ الجبل.

اقترب منها "وليد": "حقًّا ستقفزين؟".

كانت تفرك في يديها استعدادًا للقفز: "هل أنت خائفٌ أيها النوبي!؟".

ثم ألقتْ بنفسِها وهي تصرُخ مثلَهم في سعادة؛ فأمسك هو الآخر بحبلٍ ووجدتهُ يقفزُ خلفَها: "لم أكن خائفًا، ولم أَخَفْ يومًا".

مضى اليوم في سلامٍ وَمَرَّ شهرٌ على عملهما سويًّا، كانت (نيران الخلاف تنطفئ) شيئًا فشيئًا، وكانا يتعاملان كأي زميلِ عملٍ عادي، ولكن لم يحاولا أن يوطِّدا علاقتهما ببعض قط!

في أحد الأيام كان "وليد" مارًّا آخر الليل .. وجد من يسحبُه بسرعةٍ شديدةٍ ويُغلق عليه باب إحدى الغرف .. تعجَّبَ من الموقف والأغرب أنها كانت "سارة" .. لقد كانت تتصبَّبُ عرقًا وتلهثُ وتنظرُ في كلِّ مكانٍ خائفةً؛ نظر لها في تعجُّبٍ شديدٍ: "ماذا بك، ما الذي يجري؟".

_"أخاف أن يسمعني أحد، لن تصدق ما حدث".

_"حَسَنًا، اهدئي قليلًا واحكي لي حتى أفهم".

_"إنّها الطبيبة "الن" سمعتُها تتحدّث اليوم مع شخص وتذكر أبحاثنا وتُخبره أنَّها ستبعثها لتل أبيب في أسرع وقتٍ فور انتهائنا منها".

صمت "وليد" في ذهول: "يا إلهي .. لا أعرف ما أقول".

"سارة" في انفعال: "فلننقل أبحاثَنا لمعمل آخر".

_"كيف نفعل؟ هذا يُنهي المنحة وكلُّ شيءٍ سيضيع يا "سارة".

_"فلْيَضِعْ، لا يُهم .. سأعملُ أي شيء حتى أحصلَ على غيرِها ولن أَبْقَ هنا بعد اليوم".

قطع حديثَهما الطبيبةُ .. فتحتْ الباب وهي تبتسم كعادتها: "حَسَنًا يا شباب، نحن في القرن الحادي والعشرين، الآن لا أَظُنُّ أنّه سيكون بيننا خلاف؛ فالتطبيع بين بلادنا قضى على أي خلاف .. ثم إنّكما مختلفان .. أَلَمْ تفهما سرَّ اختياركما؟! تمثِّلان نفسَ قضيتي .. أرض مشتركة بيننا".

"سارة" في غيظ: "هي إذن هكذا .. لقد اخترتِنا للخلافات بين عائلاتنا .. هل كنتِ تعتقدين أنَّ خلافنا سيجعلنا نَتَّحِدُ معكِ!؟".

-"صمتًا يا فتاة، لقد جعلتكما تقتربان من بعض وتنسيان خلافَكما .. لمَ لا تنسيا الخلاف معي .. أرى الأمورَ متشابهةً هنا".

"وليد" بصوتٍ حادٍّ: "اسمعي أيَّتُها الطبيبة، إن كنَّا مثل المهاجرين والأنصار كمسلمين مع بعضنا .. لن نكون هكذا مع اليهود أبدا .. هيا يا "سارة" فلنخرج من هنا".

ذهبت "سارة" معه ثم نادت الطبيبة عليهما من بعيد: "ستندمان أيها الأحمقان؛ لقد تركتما فرصةً ذهبيةً لن تجداها في أي مكان؛ هنا أكبر معملٍ في أمريكا كلها".

فنظرا لها باستخفاف وأكملا طريقهما.

خرج كلاهما وهما لا يملكان إلّا القليل من النقود تاركَيْنِ خلفهما أحلامهم محطَّمة لا يعرفان ما الذي عليهما فعله .. نظر "وليد" إلى "سارة": "أشكر لك حسنَ تصرفك يا "سارة" الآن علينا أن نفكِّر في حلٍّ لما نحن فيه".

"سارة" في حزن: "لن أعود للسفارة، ستسلّمنا إن عدنا".

"وليد" في خجل: "أريد منك أولًا أن تسامحيني؛ فما بناه الإسلامُ فينا ظهرَ الآن .. إن رابطة الدين أقوى من الدماء التي أُريقت حقًّا .. من الآن أنت أختي .. لن أتخلَّى عنك؛ سنكافح ونبحثُ عن عمل وسنجد معملًا غيرَه .. أَعِدُكِ بذلك".

بدأا في العمل في إحدى المطاعم الصغيرة التي اعتادا الذهاب إليها .. عملت "سارة" نادلةً هناك وهو كان يغسلُ الأطباق إلى أن يأتيَهم (جوابُ الموافقة) من أيّ معمل مما قدموا أوراق الالتحاق لديهم؛ فكان عملُها في هذا المطعم مؤقتًا إلى أن يُوافَق على عملهم في أي معمل، بل والتحقا بالجامعة حتى يكون معهم شهادة معادلة؛حيث لا يُعترف كثيرا بالشهادات المصرية إلّا من خلال المنح فقط، والتي تعطي لهم المعادلة لهذه الشهادة؛ إذن الجامعةُ فرصةٌ كبيرةٌ لعمل المعادلة التي تؤهِّلُهم للعمل في أيّ مكان، وكانا يقدِّمان أبحاثهما في كلِّ المعامل حتى وافق أحد المعامل أخيرًا، كانت تربطهما صداقة قوية في هذه الفترة؛ فالبطبع (ما بناه الإسلام فينا لن يهدمه أيُّ شيء كان)!

obeikandl.com

(العَوْدة)

بعد ان سمع كلا منا القصة من الاخر اصبحنا لا نعرف ما الذي علينا فعله كلانا يحمل دماء وهموم تكاد تشيح به لكن علينا الا نستسلم ابدا.. لابد من مخرج لما نحن فيه لابد من حل ..

نظرت لنا "تيماء " ربما علينا إعادة قول هذا الطلسم من جديد لبرما يعيدنا الي حياتنا او يحدث أي شيء "

قاطعتها ريحانة والدموع لا تفارقها " وهل جلب لنا المثائب الا هذا الطلسم الملعون "

الكل كان يدلي بأفكارة الكل كان مشوشا لا يعرف ما الذي عليه فعله لكن بالنهاية كان لامفر الا من إعادة قول الطلسم لربما تعود الأمور الي ناصبها من جديد

شجع كلا منهم الاخر ووقفوا مصطفين بشكل دائري حول النيران واغمضوا اعينهم

جميعا وبدءوا في نفس واحد بأعادة سرد الطلسم ""ساقوم ..ناجوم ..خاؤوم ملكوت الليل الأسود والغيوم ..نستدعي روحا أبيَّة تساعدنا ..ساقوم ناجوم ..حاؤوم احضر الآن بسر الطلاسم الرعدية والزلازل الأبدية والخمس بنات النرجسية"!" اهتزت الأرض اسفل اقدامهم

وانفجرت النار من جديد في وجه كل واحد منهم وتفرقا الي حيث المجهول

obeikandl.com

(صادق):

بعد التعويذة وهذا الطِّلْسَمِ الغريب، وجدتُ نفسي قد أُلقي بي في مكان أغرب، مُقْفِرٍ وحوله أحجارٌ كبيرةٌ ضخمةٌ، وأرى أمامي مشهدًا لرجال يحملون أحجارًا كبيرةً ضخمةً ويضربون بالسياط أناسًا يقفون لا حولَ لهم ولا قوّة، وكأنهم مستَعْبَدون لهؤلاء الطغاة، تلقيتُ ضربةً مثلهم؛ باغتني بها أحدُ الجلادين دونَ أن أشعر؛ أَحْسَسْتُ بتنميلٍ شديدٍ بذراعي .. ما الذي يحدثُ هنا وأين أنا الآن .. يا إلهي ساعدني! حاولت أن أجري منهم لكنهم انْهالوا عليَّ ضربًا؛ فَخَرَّتْ قواي تمامًا وتوقَّفتُ عن المقاومة كي لا أُضرب مرةً أخرى؛ الكلُّ ينظُرُ إليَّ وأنا أُضرب بهذه الطريقةِ الشنيعةِ في صمت حتي أنهم لا يساعدونني، وأعينهم منكسرة؛ يبدو أنّني رهينةٌ هنا أو ما شابه .. لا أعلم إلى أين ألقتْ بي التعويذةُ .. الآن أُحاولُ أن أَعْرِفَ وأَعِيَ أَيْنَ أنا؛ انضممتُ للصفوف التي تمشي وكأنَّها إنسانٌ، وملابسهم الشفّافة تكشف أغلب جسدهم، ربما أغلبُهم لا يرتدي إلا ما يواري عورَتَه فقط.

رأيتُ أمامي معبدًا كبيرًا فرعونيًّا يُبنى، حاولتُ استيعاب أين أنا؛ فابتلعتُ ريقي وأنا أتلقَّى الصدمة الكبيرة؛ إنّني الآن وسط عصرِ الفراعنة، ربما هي حقيقةٌ أو إنني أحلم .. يا إلهي، كيف حدث هذا؟! وجدتُ من حولي كلَّهم رجالًا منكسرين لا حولَ لهم ولا قوةَ، وَهُمْ يسيرون كأنَّ على رؤوسهم الطير؛ لا أَحَدَ يعترض على ما هو فيه، خُفت وحاولت أن أصمت لكيلا أنال العقابَ الشديدَ منهم .. الآن أُجبرت على حمل أحجارٍ ضخمةٍ معهم ولا أعلمُ كيف استطعت أن أحملَ كلَّ الكم الهائل من الأحجار هذه!

لا أعلم كيف كنت أفهمُ اللغة التي يتحدثون بها .. بعد الانتهاء رحلَ الرجال؛ كلٌّ منهم رحل إلى بيتٍ طينيٍّ فقيرٍ مقارنة بالقصور الفرعونية التي رأيتُها، ووجدتُ فتاةً تهرولُ ناحيتي مسرعةً: "كرشاب" حمدًا لله أنَّك جئتَ؛ أُمُّنا مريضة .. تعالَ بسرعة".

ذهبتُ معها وأنا لا أدري من "كرشاب" هذا، ولكنها تتحدّث باللهجة النوبية؛ هذا ما أسعدني وربَّما أشعرني بالأمان؛ أنا وسط أناسٍ أشعر معهم بالوطن .. أمسكت الفتاة بيدي وهي تجري مسرعةً حتى وصلنا إلى منزلٍ كبيرٍ أكبر من المنازل الأخرى، أرى أنني ربّما كبيرُهم أو ما شابَهَ، ووجدتُ سيدةً تحتضرُ في فراشِها؛ أَمسكتْ بيدي وهي تتحدَّثُ بصعوبةٍ بالغةٍ: "كرشاب" ولَدي، قاوِم كما علَّمتك .. قم بالتّخلُّص من (تحتمس) هذا الملك الظالم الذي يُريد الاستيلاء على بلادِنا النوبيّة، أعلم انك ستفعل"!

وبدأتْ تسعل بشدَّةٍ .. أعطتها الفتاةُ بعض الشراب بجوارِها؛ فشربتْ منه وهدأَت قليلا، ثم أخرجتْ من تحت وسادتها تميمةً يدويةَ الصُّنْع وأعطتْها لي وهي تحاول أن تخرج الكلمات -التي تهربُ منها- بصعوبة لشدَّةِ مرضِها

-فقد كانت وكأنَّ لسانَها معقودٌ بعض الشيء-: "إنها لِجَدِّكَ .. كان قائدًا عظيمًا، وأنتَ ستكون مكانَه".

أمسكت بيدي بين يديها واحتضنتهما والتميمة داخلُ أيدينا معًا، وهي تحاولُ جاهدةً أن تثبت عزيمتي على شيءٍ أجهلُ ماهِيَتَهُ، ثم فتحتْ فمَها وعينيها إلى أعلى وصمتت!

صرختْ الفتاة التي أحضرتني وأخذتْ تبكي بشدَةٍ؛ فجأة امتلأ البيتُ بأناس كثر؛ رجال ونساء يبكون، وقفتْ الفتاة تتوسّط الواقفين: "إن "كرشاب" معه التميمة؛ سيقود ثورتنا وسننتصر"!

هاج الجميع وبدؤوا يحيّونني وكأنّني البطلُ المنتظرُ أو ما شابه، ما زالت الضربة التي أخذتُها من الفراعنة الجلادين تؤلمني .. ولكنّي لا أعلمُ أي ثورة يريدوني أنْ أكون قائدها .. كانت مراسمُ العزاء غريبةً جدًّا وأخرجوا السيدة العجوز في أبهى حلةٍ لها فوق مصطبةٍ خشبيةٍ، وصنعوا لها حفرةً ووضعوها وَمَعَها بعضُ الأطعمة والفخّاريات وودَّعوها وأغلقوا عليها التراب .. وجلسوا بجوارِها يُنشِدون الأغاني الحزينة .. وأنا في ذهولي لا أعرف ما عليَّ أن أفعلَه في تلك الثورة ولا حتى كيف عليَّ العودة إلى مكاني الذي كنت فيه.

بعد أن انصرفَ الجميعُ جلستُ بجوار القبرِ؛ لا أريدُ العودة؛ فوجدتُ الفتاة تجلسُ بجواري وتُرَبّتُ على كتفي: "أعلم يا أخي أنّك حزينٌ لرحيل أمّنا، ولكنك لا بُدَّ أن تستجمع قواك مرةً أُخرى وأن تجد حلًّا لما نحن فيه".

أمسكتُ بحجرٍ صغيرٍ وألقيتُ به بعيدًا وأنا أشعرُ بحنق شديدٍ، ولا أنظر حتى إليها: " اسمعي، أنا أشعر أني مشوّش وأريدُ أن أعرف ما الذي يحدث؛ فوفاة أمّنا جعلتْ عقلي توقف".

قامت من مكانها وجلست بجواري وأمسكت بيدي وألقت رأسَها على كَتِفي وهي تتحدَّثُ في حزنٍ شديد: "أعلم يا "كرشاب" أنَّك كنت تُحبها جدًّا، وهي كانت مؤمنة جدًّا باستطاعتك هزيمة (تحتمس الثالث) .. إنه يريد سرقة بلادنا (النوبة) وضمها إلى مملكتِه التي يريدها أن تصبحَ أكبر وأعظم .. إنه

ملكٌ شَرِسٌ؛ هذا عامُه الثاني ولم يُظهر لنا إلا القوة الحربية والشراسة في التعامل معنا".

لم أستطع أن أجيبَها .. يا إلهي، عليَّ أن أُحارب (تحتمس)، وأقود ثورةً نوبيةً ضدَّه، أي حماقة هذه! أنا مجردُ فتى جاء بفعلِ تعويذةٍ حمقاء من (صعيد مصر) .. بلْ من المستقبل إلى هذا المكان الغريب .. يا إلهي ساعدني! .. أين أنت يا صديقي (عبد العزيز)؟ لو كنت هنا ربّما كنت ستساعدني .. الآن كم أفتقدك بشدة!

جاء الصباح وأنا لا أستطيع النوم .. حاولتُ أن أُقاوم الأفكارَ الكثيرةَ المشوَّشة بعقلي وأنا أكره فكرةَ رجوعي مرةً أخرى إلى الجلّادين الذين لا يهتمُّون إلا بالضَّرْب بالسياط الكبيرة التي يحملونها!

الشمس تملأُ المكان وأنا ما زلت في مكاني خائفًا أترقّب .. فجأةً فَتَحَ البابَ عنوةً أحدُ هؤلاء الجلّادين يُمسك في يده السوطَ ويريد ضربي لأنّي تأخرتُ عن المجيء مثل غيري .. أُضْطُرِرْتُ للخروج معه. وبمجرّد أن خطت قدماي خارجًا وجدتُ كلَّ أهل القرية واقفين بانتظاري في الخارج .. لم يذهبوا هم أيضًا إلى العمل عند الفراعنة .. يا إلهي! اكتشفتُ أنّ الكلَّ يعتمدُ عليَّ؛ كلهم سيُضربون إذا ذهبتُ مع هؤلاء الجلّادين. كم أكره ما أنا فيه! الآن لا بُدَّ أن أُفَكِّر فيما عليَّ فعلُه .. إنّهم ينظرون لي وإلى التميمة في يدي وإنّني مُخَلِّصُهُم؛ عليَّ أن أتصرَّفَ بسرعة!

أمسكتُ بالتميمة ورفعتُها عاليًا .. حين حاول أحدُ الجلّادين أن يضربني بالسوط؛ أمسكتُه منه ورفعتُه في وجهِه وأنا أصرخُ بصوتٍ قويٍّ مُجَلْجِل:

"اسمع يا أحمق أنت، لن تكون بلادنا لكم أبدا .. اذهب وأخبر (تحتمس الثالث) أن يذهبَ إلى الجحيم".

صَعِقَ الجلّادون وهمَّ الرجال من أهل القرية يهتفون، تحمَّسوا بشدة وبدؤوا يسيطرون على الجلّادين ويُسمكون السياط بأيديهم ويضربونهم بها في مشهد مهيبٍ، والنساء معهم أيضًا، أمّا الجلّادون فَقَدْ هَرْوَلوا إلى الخارج وهم يتوعدوننا بالعودة من جديد ومعهم جيشٌ أكبر!

بدأتْ الهتافات والرقص والغناء بين الموجودين، وحملوني على الأكتاف وأنا في موقفٍ لا أُحسد عليه مما فعلتُه؛ فأنا لا أعلم كيف سنحارب الجلّادين ولا أي أسلحة سنحاربهم بها.

تنفستُ الصعداء وأنا أحاولُ أن أتذكَّرَ العجلات الحربية والأسلحة التي درستُها بالجامعة عندما كنتُ هناك بالمستقبل وكيفية صُنْعِها .. قمتُ بجمعِ كبار القرية وشبابها وبدأتُ أشرح لهم كيفيةَ صُنْعِ أسلحةٍ جديدةٍ، وربّما متطورة بعض الشيء عن أسلحة المَلِك .. لم أستطع أن أصنع بندقيةً أو صاروخًا ولكن هذا ما استطعت تذكره!

كانوا سعداء جدًّا باقتراحاتي، وكانوا يروني كرمزٍ كبيرٍ لهم؛ وبدأ الكلُّ يُحبُّني حتى أنهم أطلقوا عليَّ "كو": (الأسد) بالنوبيّة .. كنتُ سعيدًا جدًّا وأخذتني الحماسة والسعادةُ أن أكون زعيمًا، ثم ذهبتُ لأخلد للنوم فقد كنت مُتْعَبًا من العمل المتواصل دون راحة.

صحوتُ على صوت الرجال ينادون والفتاة _التي من المفترض أنّها أختي- تصرخ بشدة: "قُمْ الآن .. لقد بدأت المعركة".

في البداية جاء إلينا بعضُ الرجال ويبدو أنَّهم من (جيش الملك) وبدأتْ المعركة وأنا أهتف في الرجال لأزيدهم صلابةً وقوَّةً وأضرب معهم .. شيءٌ غريب! لم أدخلْ في معارك من قبل لكنّي كنت أضرب بقوةٍ وحماسٍ لم أشهده في نفسي السابقة قط، ربّما لأنهم أعطوني دفعةً قويةً وحماسيةً، أو ربّما لأنني القائد الآن ولا يجب أن أفشل.

لَقَّنَّاهم درسًا كبيرًا لن ينسوه أبدًا .. وهرولوا مسرعين إلى ملكِهم يشكون ما حدث معهم .. أما القرية فقامت فيها الأفراح والاحتفالات إلى الصباح.

بعد عدة أيام وجدنا جيشًا مهولًا يكاد الناظر إليه ألا يجد آخره .. مسلحًا بالأسلحة الحربيةِ الفرعونيةِ، ومعهم العجلاتُ الحربيةُ الكبيرة .. وبدؤوا في إشعال النيران في القرية والسيطرة عليها .. حاولنا كثيرًا أن نُقاوم ولكنْ كانوا يفوقوننا عددًا .. وجدت رجلًا عجوزًا يُمسك بي مسرعًا ويُهرولُ إلى مكانٍ محفورٍ تحتَ الأرض وبه نساءٌ وأطفال .. نَظَرَ لي الرجل العجوز وهو يتنهَّدُ: "كرشاب" .. أنت قائدُنا .. عليك أن تأخذ نساءنا وأطفالنا بسرعةٍ من هنا إلى مكانٍ آمن .. عليك أن تحميَهم جميعًا؛ إنَّهم أمانةٌ في عنقك".

وَخَرَجَ من الفتحة وأغلق من ورائه بابَ الحفرةِ الكبيرةِ التي نتواجدُ فيها والتي يبدو أنَّها مَمَرٌّ سريٌّ يصل إلى مكانٍ أنا لا أعلمه.

وجدتُ الأطفال والنساء ينظرون لي .. لقد تمَّ سيطرة الملك (تحتمس) على (ثورة النوبيين) وانضمام قريتِهم إلى مملكتِه .. وأنا الآن عليَّ أن أُساعد هؤلاء المساكين إلى برِّ الأمان .. حملتُ طفلًا صغيرًا كان يبكي وحدَه ولا يوجد معه أحد؛ ربما والدُه قد قُتل في المعركة .. وأصواتُ السيوف والضربات من فوقِنا تُسمع بقوةٍ؛ ظللت أسير بهم في هذا النفق الضيّق والأتربة تتساقط علينا من كلِّ مكان .. والنَّفَسُ بات ضعيفًا من نقص الأكسجين الذي نعانيه جراء الكتمة تحت الأرض .. إلى أن وصلتُ إلى جدولِ ماءٍ عذبٍ ووجدتُ الخضرة من حولي ورأيتُ ضوءَ الشمس يخترقُ كل مكان .. فَهَرْوَلَ الأطفالُ والنساءُ يشربون ويغتسلون وأنا أحملُ سيفي من ورائهم ولا أدري نهاية ما أنا فيه ولا إلى أين ألقت التعويذة بصديقي (عبد العزيز).

obeikandl.com

(عبد العزيز)

أَلْقَتْ بي التعويذة إلى مكانٍ غريب .. لا أدري أينَ أنا .. أخذتُ أبحث مدةً حتى وجدتُ أناسًا يتحدثون العربية القريبة إلى حدٍّ ما من الفصحى، ويرتدون ملابس كأنني في (فيلم الناصر صلاح الدين) أو ما شابه، بجواري جَدْوَلٌ ماء، كنتُ أشعر بعطشٍ شديدٍ .. ذهبت مسرعًا لأشرب منه.

اغتسلت وشربت ما يرويني من الماء ثم اكتشفت المفاجأة .. بمجرد أن نظرت للماء -بالصدفة وأنا أشرب- رأيتُ وجهي .. اقشعرَّ جسدي وارتميتُ على جانب الجدول الترابيّ من الفزع، ثم اقتربتُ مرة ثانية لأرى .. ربما كنتُ أحلُم أو ما شابَهَ، أو ربَّما أشعر بالدوار لكنني وجدتُ ما رأيتُه بالسابق .. شخصًا آخرَ غيري، لا أعرف من هذا .. لستُ أنا بهذا .. هذا ليس جسدي، ولا حتى شكلي .. أنا كنتُ شابًّا في العشرين من عمري، الآن أنا رجلٌ كبيرٌ يبدو في عقده الرابع .. يبدو ضخمَ الجثَّة عريضَ المنكبين حتى إنني أرتدي ملابس تشبه ملابس من حولي هنا، لا أعلم كيف! عليَّ أن أَكْتَشِفَ الآن.

تحيطُ بي أسوارٌ عاليةٌ كبيرةٌ، ويبدو المكان كأنه قصرٌ أو ما شابَهَ ذلك .. سُحْقًا لهذا (الدَّجَّال)؛ في البداية يُلقي إلينا بفتاتين، والآن أنا هنا؛ لا أدري أين أنا ولا حتى من أنا .. أشعر بذعرٍ شديدٍ .. حاولتُ أن أُهدِّئ من رَوْعي حتى أعودَ ثانية إلى مكاني وجسدي القديم الذي لا أعلم أين هو الان!

حاولتُ أن أصل إلى الردهة الطويلةِ الموصلة بالقصر الكبير هذا .. رُبَّما أجد هدى لما أنا فيه، ولكن الغريبَ أنني كلما مررتُ بشخصٍ من هؤلاء؛ طَأْطَأَ رأسَه لي ونعتني بأمين بك .. لا أعرف من أمينُ هذا .. ناديتُ على رجلٍ يقف على مقربةٍ منّي يقوم بقصِّ الأشجار.. ربّما يخبرني ما الذي يجري هنا: "يا هذا أخبرني ما هذا المكان؟".

الرجل متعجبا: "ما بك أمين بك؟ هذا قصرك وأنا أعمل لديك؛ أُقَلّم أشجارَ حديقتك!".

صمتُّ لبرهة وأنا أحاول أن أَعي ما يتحدَّثُ عنه .. خفتُ أن يعلم أحدٌ أنّني لست "أمين بك" هذا .. ربّما وقعتُ في مشكلةٍ أكبر.. كان عليَّ أن أُخفي من أنا وأن أتماشى معهم حتى يحين موعد خروجي من هنا.

دَلَفْتُ إلى القصرِ العالي وكأنني أحلُم .. ما هذا الفنُّ المعماريُّ الضخمُ وهذا الجمال الذي لا يوصف؟ ربما رأيته بالمتاحفِ ولكن قصور خالية قديمة مهجورة حتى زينتها تلفت مع الزمن .. ربما سيعجبني كوني "أمين بك" بهذا الشكل.

شخص ينادي من بعيد: "سيدي .. سيدي .. الاجتماع قائمٌ الآن .. إنهم بانتظارك؛ هممت بالذهاب معه وأنا خائفٌ أن يُكشف أمري، ولا أعرف حتى ما الذي أقحمت نفسي فيه .. جلستُ وسطهم؛ رجالٌ ذوو هَيْبَةٍ كبيرةٍ يتحدّثون بحُنق شديدٍ .. يبدو أن هناك أمرًا ما .. جلستُ في صمتٍ أستمع لحديثهم ..

قام رجلٌ منهم في غضب وقال: "إن (محمد علي) يريد أن يُنهي على سلطتِنا .. بعد أن حكمنا (مصر) لسنين طوال واستطعنا التخلُّص من الماغول يأتي هذا العثماني المدعو (محمد علي) ليقضي علينا ويأخذ حكم (مصر) منا".

أنا أُحاول استيعابَ ما يحدث الآن .. يا إلهي إنَّهم (المماليك) .. أنا في عصر المماليك وبداية محمد علي هل هذا تمثيل أم ماذا؟ ليتني ما استمعتُ لهذا (الدَّجَّال)! كيف أهرُب الآن منهم؟ أنا وسط اجتماع للمماليك حقًّا أم أنني أُصبتُ بشيء ما في عقلي!؟ .. رجل آخر يقف الآن: "لن يستطيع هزيمتَنا هذا الأحمق نحن معكم .. كلُّ (قبيلة بني هلال) معكم الآن".

حَسَنًا، يبدو أنَّ لقبيلتي جانبًا تاريخيًّا هنا ويبدو أنَّهم كانوا في جانب المماليك.

يكمل الرجل حديثَه: "إنه يدعونا غدًا لملاقاته في حفلٍ ضخم، ويبدو أنَّه يخاف منا ويريد الصلح معنا .. ثم إننا وافقنا على أن تخرجَ جيوشُنا معه لمحاربة الوهَّابيين وأرى أنها فرصة جيدة لنملي عليه شروطنا .. و(مراد بك) كبيرنا أعطانا الإذن والموافقة .. هل أنتم معنا يا رجال؟".

تعالت الضحكات بين الموجودين .. اتفقا على أن يذهبوا جميعًا إلى الحفلِ، وطلبوا مني أن أُحضر (جوادي الثمين) للتباهي به؛ فعلى حدِّ قولهم: إني أملك أجمل جوادٍ .. ولكني امتطيت الخيل بضع مرات قليلة .. لا أعلم هل سأستطيع امتطاء جوادٍ تاريخي والسيطرة عليه أم لا ..

الليل حلَّ والكل ذهب وبقيتُ وحدي في القصر الكبير مع الخدم .. حاولتُ أن أجد طريقي إلى غرفة النوم بعد أن أكلتُ وليمةً كبيرةً أعدَّها الخَدَمُ .. لم آكل مثلَها في حياتي، وكيف لي أن آكل مثلَها؟ لم أكن أميرا من قبل .. بدأتُ أتجوّل في القصر؛ فوجدت فتاةً حسناء تقترب مني وتتمايل: "عزيزي، الليلة ليلتي .. انتظرتُ أن تأتي كعادتك .. هل كرهتني أم ماذا؟".

يا إلهي! ربما هي زوجته .. لن أقترب منها؛ فلعله يعود ويقتُلني .. حاولتُ التخلّص منها بأعجوبة ووعدتُها أن آتيها غدًا بعد الحفل.

في الصباح جاء الخدم وغيّروا ثيابي .. يبدو أنني سأُحب العيشة هنا .. ترى أين ألقت التعويذة بصديقي (صادق)؟ فأنا أعيش بين الملوك؛ ليتني أجدُه .. حَسَنًا، سأنتهي من هذا الحفل وعليَّ أن أبحثَ عنه، (المماليك) في أبهى حلةٍ للتباهي بملابسهم البرّاقة وزينتِهم الغالية .. أنا متحمِّس جدًّا .. سأرى (محمد علي) .. شيءٌ لا يصدّقه عقل!

اقتربنا من قصرِه الكبير .. أسوار عالية وحُرّاس بكلِّ مكان .. رحّبوا بنا وَهَمَمْنا بالدخول .. كلهم يتباهون بأحصنتِهم العربية الأصيلة .. ويبدو أن جوادي كان أجملَهم .. دخلنا والخيل تمشي في تعالٍ وكأنَّها تعلم أنّها مملوكةٌ لأمراء .. حتى اقتربنا من القصر ونزلنا عن الخيول .. يا إلهي! ها هو محمد علي بذقنه الطويلة وشاربه السميك يرحب بالجميع، ومن ورائه ابنه إبراهيم في ابتسامة كبيرة ويدعونا للدخول؛ دخلت القصر وكنت أحاولُ أن أتمالك نفسي من جماله ووجدتُ وليمة كبرى أكبر من التي كانت في قصري .. ومراد بك بجوار محمد علي يرأس الوفد.

طلب منا جميعًا التقدُّم والجلوس حولَ الوليمة الكبرى .. المماليك وبجوارهم قادة بني هلال أربعمائة رجل منهم جميعا، ربما لا أستطع العدَّ من كثرة أعدادِهم! صُعِقْتُ عندما علمت أنّ قبيلتي كانت من الطبقة الحاكمة في تلك الفترة، بل كانت رأسًا لرأسٍ مع المماليك، بل ولقد تزوجوا من الطبقات الحاكمة وتقلَّدوا المناصب العليا حتى عصر المماليك!

جلسنا والكل يرفعُ رأسَه في تعالٍ وتفاخرٍ وأنا أخاف أن يبدوَ عليّ أني أَبله في وسطهم -فأنا ما زلت لا أدري ما عليَّ فعله حقًّا- فالتزمتُ الصمت واستمعتُ لهم فقط دون أن أتفاعل معهم خوفًا من أن يفضح أمري .. كان الحديثُ عن الجيوش والوَحدة والأقاليم مملًّا جدًّا .. حديث سياسي لا أُحِبُّه ولم أُعِرْهُ انتباهًا من قبل حتى في نشرات الأخبار في عصرنا كنت أُحول القناة .. يا لَلحظ .. أنا مُجْبَرٌ على الاستماع له الآن بل والتمثيل أنني معهم فيهما يتحدون عنه.

بعد انتهاء الوليمة طلب منا محمد علي أن نكون في مُقَدِّمة الجيش لنكون في أوائل صفوف مودِّعيه .. كان الحرّاس من حولنا لا ينظرون ولا ينتبهون لنا ولكنّي وجدتُ همسات غريبةً .. أخذتُ أعصر عقلي كي أتذكّر وضع المماليك مع محمد علي .. ثم فجأةً تذكرتُ .. يا لَحماقتي! كيف لي أن أنسى!؟ الآن أتذّكر جيدًا؛ إنها (مذبحة القلعة) ..

نعم تبدو كذلك كانت هذه الحفلة الوحيدة التي دُعي فيها المماليك من قبل محمد علي .. ألا لعنة الله على التعويذة الحمقاء! أهرُب من مذبحة إلى أخرى .. يا إلهي! ما الذي عليَّ فعله الآن؟ كيف أُنبِّهم أو أُنَبِّهَ نفسي؟ .. بالفعل

سمعت صوت أول طلقة رصاص! .. كان قد فات أوان أي شيء حتى أنني لم أستطِع أن أُنبّههم .. كنت ساعتَها قد هرولتُ مسرعًا نحو جوادي العزيز وانطلقتُ به مسرعًا نحو الأسوار العالية لأهرُب والرصاص ينهال على المماليك من كل مكانٍ ..

كان عليَّ أن أَقفزَ من فوق الأسوار العالية؛ فليس هناك سبيل إلا القفز منها .. ولكنها كانت باهظة الارتفاع .. كيف لي أن أنجوَ منها؟ الآن عليَّ أن أُفكّر بسرعةٍ واهتديتُ إلى فكرةٍ لا أعرف إن كانت ستبدو جيدةً أم سأموت هنا وسط هؤلاء المماليك والأحمق محمد علي الذي كنت أكره حصة التاريخ بسبب كثرة إنجازاته التي كان علينا أن ندرسها ونحفظها جميعا .. فليذهبْ الآن هو وانجازاته إلى الجحيم .. عليَّ أن أنجوَ مما أنا فيه ..

جعلت الفرس يقفزُ ويكون هو من يتلقى الصدمة بدلًا مني .. كنت خائفًا جدًّا من هذه الفكرة الجنونية والتي لم أكن أراها إلا في الأفلام .. لكن لا سبيل لي الآن إلا هي .. أمسكتُ بالفرس بقوةٍ وأغمضت عيني .. وارتطم الفرس بالأرض وتهشَّم في الحال .. أُصبتُ ببعض الكدمات البسيطة ثمَّ هرولتُ بعيدًا مبتعدًا عن الأسوار وخفتُ أن أنظر ورائي وأنا أجري مسرعًا .. ووجدتُ نفسي بصحراء كبيرة وحمدت (الله) أني هربت من هذه المذبحة الثانية! ربما أراد (الله) لي أن أرى هذه الثانية حتى أترك طُرُقَ الدجّالين الذين اتبعتُ طريقهم وابتعدت عن (طريق الله) .. وعليَّ أن أرى مذبحةً أُخرى لبني هلال أيضًا لقد ذكر لي المُعلِّم (مذبحة القلعة) والتي رأيتها الآن بأُم عيني .. ولكنّه لم يذكر لي أن (قادة بني هلال) كانوا معهم في ثوراتهم .. ولكنِّي تذكرت أن سبب

الخلاف هو عدم ذكر أي تاريخ للقبائل العربية وبالأخص قبيلتي التي ربما محوا تاريخَها من الكتب المصرية .. شَعُرْتُ بحزنٍ شديد وتذكّرت صديقي والذي أردته بجواري بشدة في هذه المأساة التي تعرضت لمشاهدتها الآن .. ليتني أراك يا (صادق) .. أين أنت يا أخي العزيز؟

obeikandl.com

(وليد)

منذ أن وَطِئَتْ أقدامي أرض تلك البلادِ الغربية وأنا مرهونٌ بفتاة عجيبٍ أمرُها معي؛ فهي -إن نظرنا في الأمر- تعتبر ابنة ألدّ أعدائي .. ارتبط مصيري بها الآن بطريقةٍ عجيبةٍ .. الأغرب هي فتاةٌ مجنونة .. وتارةً أُخرى عاقلةٌ! لا أفهم أمرها أبدا .. لكن موقفها تجاه الصهاينة حوَّلَها من عدوتي إلى ابنتي وأُمي وأُختي؛ فعليَّ الحفاظ عليها .. لا أعلم لماذا .. ربما برابط الإسلام الذي دفعني برغم كلِّ شيءٍ أن أُراعي (الله) فيها!

مع مرور الأيام أصبحَ قلبي لا أدري ماذا به! منذ أن تَرَكنا العمل بأكبرِ المعامل بالولايات المتحدة الأمريكية وآثرنا المعيشةَ الضَّنْكَ على الحياة الكريمة مقابلَ الدين والوطن ونحن أعزّ أصدقاء .. ربما يرى البعض ما فعلناه حماقةً وشعاراتٍ زائفةً وخاصةً في ظل الأوضاع الاقتصادية التي فرضها الوطنُ علينا ولكنْ لن نعيش أو نكون إلا في (سبيل الله) مهما ضاقت بنا الأحوال .. فأوطاننا هي أرض زُرعت بداخلنا!

عملنا معًا في مطعم متواضعٍ لا يكاد يكفي قوتَ يومِنا .. لم نُحاول التوجُّهَ إلى السفارة أو إخطار أحدٍ بما حدثَ لنا خوفًا من ترحيلِنا .. وتكْملةً لمسيرة من الصعاب واصلنا العيشَ فيها ابتغاءَ العلم.

كنت أعود من عملي وأقوم بتوصيلها إلى مكان إقامتِها بمبنى مجاورٍ لما كنت أسكُن فيه .. هي تعيش الآن مع مجموعةٍ من الفتيات الجامعيات وأنا أيضًا مع بعض الفتية الذين كنتُ أتجنَّبُ البقاء معهم إلَّا وقت النوم .. فالصبح الجامعة، والليل العمل، وآخر الليل أنام كالقتيل من التَّعَب، وهي أيضًا كانت تفعل كما أفعل .. فالخمور والحياة المليئة بالحرّية الزائدة هذه لم تكن حياتَنا ولم تكن ما تربَّينا عليه قط!

واجهت "سارة" تحدياتٍ كبرى وخاصةً بسبب حجابِها .. فكان عليها أن ترتدي قُبَّعَةً طوال اليوم لتخبئ شعرَها حتى يوافقوا على العمل فالحجابُ هنا جريمة كبرى .. وكانت ترفع الياقة بقميصِها لتخبئ رقبتَها فلا يظهرُ منها إلا وجهها كأنّها محجبة تمامًا حتى ملابسها واسعة وغير مُظهِرة لمفاتنها .. أحببتُ حقًّا تعُلقها بالدين رغمَ الفساد هنا .. ثم مَنْ كان سيراها أو يُعاقبها لو صارت مثلَهم وخلعتْ حجابَها أو حتى خانت الوطن؟ إنها أرض مباح فيها كل شيء حتى الكفر بالله!

كان يعجبني بها أشياء كثيرةٌ منها حبُّها الشديد للعلم وجنونُها .. إنها مفعمة بالحيوية بلا كللٍ ولا مللٍ .. لا أعرف حقًّا لمَ أتحدَّثُ عنها كثيرًا هكذا .. تذكَّرتُ الآن؛ نسيتُ جمالَها العربيَّ الذي لا يُقارن بجمالِ الشقراوات هنا .. إنه جذاب؛ ملامح عربيةٌ أصيلةٌ، عينٌ واسعةٌ مُكَحَّلَةٌ، ورموشٌ طويلةٌ، وبشرةٌ بيضاءُ صافيةٌ، لا أعلم لمَ لم تَسْتَهْوِني أيٌّ من الشقراوات ذوات العيون الملوّنة الجميلة؟!

بعد صلاة الفجر كنا نذهب سويًّا لممارسةِ رياضة الجَرْي .. لقد كان هناك ممرٌّ طويلٌ يجري فيه الناس كلَّ صباح .. آخرهُ حديقةٌ عامة جميلةُ الشكل .. الناس هنا كلهم نشاطٌ وحيويةٌ؛ الكلُّ يصحو مبكرًا، الكل يقوم بالرياضات البدنية.

كنت دائمًا أنظر لها وهي تحاول أن تسبقني في الجري وكنتُ أسمح لها بأن تسبقني مُدَّعِيًا أنها فَعلتْها من نفسِها .. كنتُ أنظر لها على أنَّها الفتاة العربية التي تحملُ في قلبها دينًا ووطنًا .. وتحمل في روحِها فتاةً أوربيةً مفعمة بالحيويةِ والنشاط .. أعجبني فيها تكوينُها للصداقات بسرعةٍ فائقةٍ .. كلُّ من كان يقابلُها كان يقع في شباك حُبِّها .. لا أعني هنا الحبّ بين الرجل والمرأة ولكن أقصد حب روحِها الجميلة والضحكة الرائعة التي لا تُفارق وجهَها .. دائمًا تتعامل بجرأةٍ غريبةٍ وأَدَبٍ في الوقت نفسه .. تحمل بداخلها متناقضات كثيرة.

أحيانا كنت أَخْتَلِسُ النظر إليها وهي تُلقي بالنكات مع فتيات المقهى المجاور لنا وهي مارةٌ بهن .. كُنَّ كلما رأينها الْتَفَفْنَ من حولِها؛ فقد كانوا جميعًا يُحبُّون رفقتَها .. لا أعلم هل كانت تراني وأنا أنظرُ إليها أم لا ..

وفي الليلةِ التي تم فيها قبولُنا في معملٍ متواضعٍ بالبلدة التي نقطن بها؛ كانت سعادتنا لا توصف؛ فقد هَرْوَلْنا نصرخُ ونضحك تحت المطر .. أتذكر يوم أن كنا تحته، أتذكَّرُه يتساقط على وَجْنَتَيْها؛ فيعطيهما حُمْرَةً جميلةً

وابتسامتها التي لا مثيل لها، كانتْ تُخرج لسانَها وتمتصُّ المطرَ كالبلهاء وأنا أضحكُ كثيرًا لطريقتِها الحيويّة .. في كل الأمور تجذبني ناحيتها.

مضَتْ الآن أيامٌ قليلة منذ عملنا بالمعمل الجديد، وكانت الأمور بالجامعة على ما يُرام، الغريبُ أنّني كنتُ أُساعد "سارة" في الاطمئنان على أهلِها! أَلَيْسوا أعدائي؟! أصبح كلُّ شيء عاديًا الآن .. كلُّ هذا يجعلني أشعرُ أني أُحبُّها .. يا إلهي، لقد وقعتُ في شباك قلبِها! سُحْقًا للحبّ الأحمق هذا .. إنَّه يختارُ بطريقةٍ غريبةٍ ويحول العدوّ إلى حبيب!

كان من حُسْنِ حظِّنا أنَّ أستاذَنا بالجامعة عربيٌّ من (الأردن) .. الذي كان يُثير غضبي حقًّا هو محاولاتُه الكثيرة في مساعدتِها والتقرب منها .. هل أغار؟ نعم، أنا أغار! إنَّهُ شاب في الثانية والثلاثين ولم يتزوَّجْ بعد .. رُبَما أَحبها هو الآخر؛ فالكل كان ينجذب لها بطريقةٍ غريبةٍ.

ثم من الذي لا يُحب شُعْلَةً من الطاقةِ الروحيةِ والجمال في كل شيء!؟ لَمْ يُقاومْ جاذبيتَها .. حتى تلك الصهيونية أَحَبَّتْها.

كنتُ أشتعلُ نارًا كُلَّما اقترب منها هذا الأردني أو تحدَّثَ إليها .. وهي كانت عَفَوِيَّةً رقيقةً في حديثِها؛ صوتها عذب مُحبّب إلى أي أَحَدٍ يَسْتمع إليها؛ أَجِدُني لا أُقاوم قربَها أبدا .. كانت دائمًا ما تحكي لي عن أخيها (أكرم) .. يبدو أنَّها تُحِبُّه بشدةٍ .. قرأتُ البارحة خبرًا يذكر اسمَه واسم أقاربي أيضًا؛ يذكر أنَّهم حُكم عليهم بالإعدام .. ويبدو أنَّ أهلَها لا يحكون لها ما يدور هناك خوفًا عليها .. ولكن يا إلهي! كيف سأُخْبِرُها أن أخاها الذي تُحِبُّه بشدةٍ سوف يُعدم!؟

هذا اليوم، الفيس بوك كلُّه يتحدَّث عنه .. حاولت أن أخبئ الخبرَ عنها بأي طريقةٍ، والحقيقة أحمد (الله) أني استطعت!

أنا أنظر الآن للفيديو الذي به أخوها يوم النطق بالحكم .. عَرَفْتُهُ من الصور التي أرتني إياها .. إنَّهُ ينظر الآن للكاميرا بطريقةٍ غريبةٍ، نعم أعرف هذه النظرة .. إنَّها نظرةُ الحُبِّ؛ إنه لا يكترث للموت، لا يَهابُه .. يبدو أَنَّهُ يُخَبِّئُ حبَّه كما أفعل أنا الآن!

دَقَّقْتُ النَّظَرَ إليه، وَلَفَتَ نظري ربطة يدٍ يُمْسِكُ بها بين يديه .. إنَّها تُشْبِهُ كثيرًا تلك الربطة التي أهديتُها لآية ابنة عمي عقب قدومي من فرنسا في تلك الرحلة بالجامعةِ العامَ الماضي .. كانت تُحِبُّها كثيرًا ودائمًا لا تَخْرُجُ بدونها .. الغريب كونها بنفسِ اللون ونفس الشكل! ذَكَّرَنِي هذا الموقف بها؛ سأذهب للاطمئنان عليها؛ قُمْتُ بالاتصالِ ببيتِ عمِّي .. فقد كانت كل اتصالاتي في السابق بأُمِّي للاطمئنان عليها فقط.

عَلِمْتُ ساعتَها أن "آية" مريضة بالسرطان! فجع قلبي هذا الخبر وخاصةً إنه يبدو أن أُمِّي كانت تُخَبِّئُ عني الخبرَ .. طلبتُ منهم أن يبعثوا لي بالتحاليل وتقارير الأطباء؛ لَرُبَّما أَجِدُ لها علاجًا هنا في بلد العلم.

طلبتُ من زوجة عمي (أم آية) أنْ تعطيها الهاتف لأتحدَّثَ معها؛ فأنا أُريد الحديثَ معها بِشِدَّةٍ .. كانت تتحدث بصعوبة .. ليست "آية" القوية التي عهدتُها .. كم كان قلبي يَتَمَزَّقُ وأنا أتحدَّثُ معها .. ولكني بُحْتُ لها بما في قلبي لأول مرة؛ إنها أختي الثانية كما سابق عهدنا؛ كنا سِرَّبعضنا البعض:

-"آية، لا أريد أن أُزعجك ولكن تعلمين .. معي فتاة هنا اسمها "سارة" لا أعلم أنا ..".

قاطَعَتْني: "تتحدَّثُ بنبرة الحبيب الآن ..".

_" تفهمينني دائمًا .. حقا أنا منجذبٌ إليها بشدة، ولكن هناك شيئًا آخر؛ لديها أخ محكوم عليه بالإعدام في الأحداث التي وقعت؛ إنَّهُ يُدعى (أكرم) وهي تحبُّه بشدة".

بدأ صوتُها يتغيّر وأحسستُ الألم والحسرة في كلامِها؛ قاطعتُ كلامَها: "آية، لقد وجدتُ في يده ربطة تُشْبِهُ تلك التي أهديتُها لك ..".

سَكَتَتْ مَرَّةً أُخرى .. ولكنَّ الصمتَ أحيانًا يحكي الكثير: "هل تحبينه يا آية؟".

_"لا يُهِمُّ الآن يا وليد، عُدْ سالمًا إلينا يا عزيزي".

_"آية، حقا أريد أن أعرف".

_"يبدو أنك أيضا أحببتَ أُختَه".

_" الحقيقة .. إنَّها رائعة ليتك هنا لأعرفك بها".

_"أعلم عنها كل شيء".

_"إذن تعترفين أنَّ هناك شيئًا بينكما".

_"تعرفني جيدًا يا وليد .. أنا لا أفعل شيئًا خاطئًا".

_"لم أقصد .. أُقْسِمُ لكِ".

_"أعرف يا عزيزي، لا يُهِمُّ الآن .. فهو سَيُعْدَمُ وأنا أموت بالسرطان .. الأمر لا يُهِمُّ الآن حقًّا".

يا إلهي، كم تَأَلَّمْتُ بشدةٍ من الحديث معها! الحقيقةُ التي عَرَفْتُهَا عنها - لو كنت عرفتها قبل أن أحب "سارة"- ما كنت أَتَقَبَّلُها أبدا .. لكن بعد حُبِّي لسارة توقفَ التفكير العقيم الذي تَرَبَّيْتُ عليه .. وَجَدْتُني أحدِّثها بطريقة عادية جدًّا؛ هل غَيَّرَني الحُبُّ أم البلادُ الأجنبيةُ عَلَّمَتْنِي أن أنسى عاداتِنا وتقاليدَنا .. فقد تعلمتُ هنا كل ما قاله النبي –ﷺ-: "لا فَرْقَ بين عربيٍّ ولا أَعْجَمِيٍّ إلا بالتقوى".

هنا حتى التقوى لا تَفْرِقُ معهم؛ الكل سَواسِيَةٌ؛ فَلَدَيَّ صديقٌ في السكن تربَّى في مَلْجَأ؛ لا يعرف حتى والدَيْه، ويُحِبُّ فتاةً والدُها بالكونجرس الأمريكي، والأب مُرَحِّبٌ بهذا الحب بل ويدعمه أيضًا .. هنا لا فرق بين عِرْقٍ ولا نَسَبٍ ولا جاهٍ أيًّا كان صاحبه.

كنت بالعمل حينما جلستُ على طاولةٍ بعيدة في وقتَ الغداء وأخرجتُ صورة "آية" من هاتفي أنظرُ إليها؛ وَكِدْتُ أن أَجْهَشَ بالبكاء عليها .. اقتربت "سارة" وهي تنظر إلى الصورة: "يا إلهي، آية؛ هل هي قريبتُك؟".

قُلْتُ في حزنٍ: "إنها ابنة عمي".

جلستْ بجواري وأنا أنظر إلى الصورة .. تحدثتُ إليها وعيني لا تُرْفَعُ عنها: " أعرف أنَّ (أكرم وآية) كانا متحابَّيْنِ".

فَسَكَتَتْ وسألتْني عن أحوالِها .. فأخبرتُها بمرضِها .. لقد حَزِنَتْ بشدة عليها، بل وكانت خائفةً أن يعلم أخوها بمرض "آية" وأخذت تدعو لها ولأخيها .. الحقيقة، التَزَمْتُ الصمتَ ولم أُخبرها شيئًا عنه أيضا .. يكفي ما نحن فيه من غربةٍ وأوجاع بعيدًا عن أهلنا .. ولَمَّا رأيتُ الحُزْنَ في عينيها وإصرارها على الدعاء لهما أن يُكَلِّلَ حُبَّهُما النجاحُ؛ ابتسمتُ لها قائلًا: "كل شيءٍ سيكون على ما يُرام _إن شاء الله_".

obeikandl.com

(تيماء)

أَلْقَتْ بي التعويذةُ في وسط حرب بآلاتٍ غريبةِ الشكل، وأصواتُها بَشِعَةٌ تَثْقُبُ الآذان ولم تُعِدْني إلى موطني الأصلي؛ فاختبأتُ وراء صخرةٍ كبيرة خوفًا من النيران والضجة الكبيرة التي كانت أمامي.

كنت أَرْتَعِدُ خوفًا وأنا أختبئ خلف الصخرة .. وجدتُ بجواري فتى يرتدي ملابسَ القتال الغريبة البُنِّيَّة هذه، ويحمل بيده شيئًا كان يسميه بالبندقية ففزع حين رآني وَهَمَّ صارخًا في وجهي: "من أنت؟".

-"ساعدني من فضلك .. أخرجني من هنا".

_"يبدو أنك من البدو .. كيف وصلتِ إلى هنا؟ فليساعدني ويساعدك (الله) في وسط هذه الحرب الشرسة".

-"أي حرب هذه؟".

-"إننا نحارب اليهود، يبدو أنك تائهةٌ أو ما شابه .. انتظري قليلً؛ا سأحاول أن أُخرجك من هنا".

أشهر سلاحَه وبدأ يضربُ بقوةٍ في كلِّ اتجاهٍ وأنا أختبئ خلفَ ظهرِه رغم اختباءِ كِلَيْنا خلفَ حاجزٍ من صنع بشريٍّ يبدو غير مألوف لي .. أردى تسعةً من

رجال العدوّ قتلى أمامه ثم هَرْوَلَ مسرعًا بداخل خندقٍ في الأرض، وباقي من يرتدون مثل ملابسه يقومون بضرب الآخرين وتغطيته.

نظر لي وهو يلهث: "اسمعي يا فتاة، عليكِ أن تخرُجي الآن من هنا .. لكني لا أعرف كيف أُخرجك حقًّا .. لقد قُتِلَ كل من في كتيبتي هنا، وباقي الكتائب بالخارج يحاولون تغطيتي؛ فَلْيَحْمِنَا الله! الآن بعد أن تهدأ هذه النيران؛ سأحاول أن أُخرجك من هنا".

وجدتُ واحدًا واقفًا يختبئ وبمجرد أن رآني خرج وهو يَتَرَقَّبُ يمينا ويسارا، وآخر ملقى على الأرض تخرج الدماء من كلِّ ركنٍ في جسدِه ويبدو أنه يلفظ أنفاسَه الأخيرة؛ فنظرت إلى زميله الآخر، وهو نظر لي وله وقال لي: "هذا الجبان آثَرَ الاختباء هنا على الخروج للحرب".

الآخر بنظرة خبيثة: "لستُ جبانا، لن أقاتل في هذه الحرب .. هل تسمع؟".

نَظَرَ له في غيظ: "اسمع، أنا أُريد أن أُخرج هذه الفتاة من هنا".

_"وكيف جاءت الفتاة هذه هنا؟".

_"اسمعا، الحقيقة أنا أَلْقَتْ بي تعويذةٌ غريبةٌ في هذا المكان وأنا أُريد العودة لأهلي .. في أي زمن نحن، لا يُهِمُّني .. المهم أن أعود لزماني".

الفتى في غيظ: "يبدو أن الدماء أَثَّرَتْ على عقلِك يا فتاة".

ولكنَّ زميلّه الجبان هذا اقترب مني بسرعةٍ غريبةٍ وطلب أن أُخبره عن التعويذة التي أتحدَّثُ عنها؛ فحكيت لهم بسرعة ما حدث .. وقبل أن أُكمل كان زميلهما الذي يلفظ أنفاسه (يُغَرْغِر) .. يبدو أن الروح تخرُج الآن؛ فجرى الفتى ناحيتَه مسرعًا وأنا خَلْفَهُ أنظر في حزن وأسى .. حاول الآخر أن أتحدّث عن التعويذة لكننا نَهَرْنَاه حتى نَطْمَئِنَّ على المسكين وحاولنا ألا نتركه يموت وحده.

بكى الفتي وهو مُمْسِكٌ بيد الآخر الذي يلفظ أنفاسه: "آهٍ يا صديقَ طفولتي، سامحني أن خرجت للجهاد وتركتُك وحدك".

ابتسم الآخر وهو يُخرج الدم من فمه ويصارع الموت ..

"حقًّا من ذا الذي يصارع الموت ويبتسم!؟".

قُلتُها في نفسي بحزنٍ شديد .. أَمْسَكَ بيد صديقه وهو يتحدثُ بصعوبة: " عبد الصمد، اسمع لي جيدًا؛ لا تجعل دمي يذهب هَبَاءً، اقتلهم يا صديقي، ولا تَنْسَ أيها الفتي أنك ستسمّي ابنك (أكرم) علي اسمي".

قالها ونظر للسماء ومات مبتسمًا .. احتضنه الفتى غير مُبالٍ بالدماء وهو يبكي بحرقة .. وأخرج الآخر الذي رفض القتال كتابًا مُمَزَّقًا من جيبه ونظر لي بسرعة: "يا فتاة، سأعيدك .. أخبريني الآن، ما الذي حدث؟ أتذكرين التعويذة؟".

الفتى الذي مات صديقه كان في حُزْنِهِ، وَهَبَّ فيه صارخًا: "نحن في وسط الحرب وأنت أيها الجبان تركت الحرب والآن تبحث عن الخرافات"!

فصرخ فيه صرخةً قوية؛ فوقع الشاب مَغْشِيًّا عليه .. حتى أنا ارتعدتُ من قُوَّةِ الصرخة، ونظر لي وعيناه تُخْرِجُ شرارًا: "الآن أيتها الفتاة، أخبريني بالتعويذة" .. كانت لي ذاكرة حديدية لا تنسى، ومن خوفي بُحْتُ وأخبرتُه بها؛ فضحك ضحكة غريبة، وأمسك بيدي وأشعل نارًا وألقي بي فيها بسرعةٍ؛ فرجعت إلى موطني بأرض (مصر) مرة ثانية .. ولكني لا أَنْسَى أبدًا ما حدث في تلك البقعة الغريبة من أرض (مصر).

obeikandl.com

(ريحانة)

أَلْقَتْ بي التعويذة إلى نفس المكان الذي جئتُ منه وكأنّي لم أذهب .. الكل ينام كما كانوا وأبي راقد وبجواره أختي "ورد" وكأنّي لم أذهبْ، بل وكأني كنت أحلُم.

غريب ما حدث وكأنَّ شيئًا لم يكن .. خلدتُ للنوم حتى نكمل في الصباح البحث عن أسرتنا من جديد .. مَرَّتْ الأيام ولم نعثر على أحدٍ منهم؛ لا زوجي، ولا أمي، ولا أحد، فقط القليلُ عَثُرَ على أهله ممَّن كانوا في القرية التي ذهبنا إليها.

أسموها "التهجير" .. هكذا أطلقوا عليها، وبدأ الناس يبنون البيوتَ من جديد ويستقرّون في هذا المكان، والكل يحمل ذكرياتٍ مؤلمةً قاسيةً!

اكتشفتُ بعد فترة أنّني حاملٌ .. كم كان وقع الخبر عليَّ قاسيًا!

هل أفرح لأنَّه سيكونُ لي طفل أم أحزن أنَّ الطفلَ سيولدُ يتيمًا بدون أبٍ؟! تَحَمَّلْتُ الألمَ في قلبي وحاولتُ أَلَّا أُظهره أمام (أبي) المسكين؛ فقد كان مريضًا ولا يقدر على التَّحَمُّل وخاصةً بعد ما جرى لنا!

رزقني الله توأمين ذكورًا أسميتُهما (صادق)، و(عبد العزيز) على اسم الفتيين الذين قابلتُهما في المكان الغريب يوم الحادثة.

كان الطفلان كلَّ شيءٍ في حياتي .. عوضني (الله) بهما عوضًا جميلا وملؤوا علينا المنزل سعادةً بعد أن غابت منه السعادة .. كُنْتُ لهما أمًّا وأبًا، وكنت دائمًا ما أحكي لهما عن والدهما .. الحقيقة لم أتزوَّجْ بعده .. رغم كثرة من تقدّموا لخِطبتي إلا أنني كَرَّسْتُ حياتي لهما .. فحبي لهما ملأ كل حياتي.

ساعدني والدي في تربيتهم، وكان يحبهما بشدة؛ فلم يرزقنا (الله) بأخوة ذكور .. أنا وأختي ورد فقط، مرت السنون وتُوُفِّيَ والدي، وتزوجتْ أُختي وأنجبت .. وكبر أبنائي وَمَنَّ (الله) عليَّ بأن أُزَوِّجَهُم وأرى أحفادي .. ولكنهما أَصَرَّا على العيش في (أسوان) المدينة وترك مكان مولدهما، بعيدًا عن قريتنا، وأنا ليس لي غيرهما بعد أبي فذهبت للعيش معهما.

الغريب أنّهما اختارا البقاء في قرية مجاورة للقرية التي حكى لي الشابان عن اسمها (زِرْزارة) هذه .. سكنا في تلك القرية القريبة منها .. خفت كثيرًا وحاولت أن أَمْنَعَهُما لكنهما أَصَرَّا، ولما حكيت لهما القصة وخوفي عليهما من المجزرة؛ اتهماني بأني كنت في وضعٍ غريبٍ وأن عقلي اختلق الأمر لأنَّه كان متعبًا من الصدمة ..

لم يصدقاني قط حتى حدث ما حكاه لي الفتيان .. وقلبي الآن قلبُ سيدة عجوز لا يقدر على تَحَمُّلِ الصدمات وخاصةً بعد موت حفيدي "ضياء" ابن ولدي (صادق) والذي عاش أغلب عمرِه بالخليج يجمع المال للأبناء وتركني مع زوجته وابنيه (ضياء وعلي) وابنته (آية) .. يا لمرارتي يا ولدي لو علمت ما حدث لابنك.

قطع إجازته وجاء مسرعًا بسبب معرفته بما حدث لولده .. وبعدها جاءت صدمتنا في "آية" ومرضها .. يا طفلتي الجميلة .. ريحانة قلبي الذي يكاد يتمزّق عليها من الألم .. عاصَرْتُ موت عائلتي في حياتي والآن في الكبر، يا (الله) صابرة ومحتسبة الأجر.. يا إلهي، اربط على قلبِ ولدي في مصابه!

جاءنا الآن اتصال من حفيدي الآخر (وليد) وهو ابن (عبد العزيز) ولدي الآخر .. لقد كان فخرَ عائلتنا؛ فقد ذهب في منحة إلى (أمريكا) .. أسأل (الله) أن يعطيه الزوجة الصالحة التي تسعد قلبه!

-"حبيبي وليد، كيف حالك يا فلذة كبدي؟".

-"بخير يا جدتي".

-"صوتك سعيدٌ، هل هناك ما تخبؤه عني يا فتي؟".

-"الحقيقة يا جدتي أنا أُحِبُّ فتاة هنا .. لم أُخبر أحدًا إلا أنت وآية، الحقيقة يا جدتي .. هي من بني هلال".

صَدَمَني كلامُه ولكني تذكرت (صادق) و(عبد العزيز) بل وتذكرت (تيماء) الفتاة التي قابلتُها مرة واحدة في حياتي: "اسمع يا ولدي، القلب لا يختارُ من يحب .. لو تعلم كم كنتُ أُحِبُّ جدَّك! حتى السنين لم تَمْحُ حبَّه في قلبي، إنَّ الحب لا يفرّق بين عرق ولا لون .. عِشْ حياتك يا بني وانعم بحبك؛ فليساعدك الله".

-"هل أنت موافقةٌ يا جدتي .. تعلمين والدي سيرفض".

-"صَمْتًا يا فتى، لن يستطيع تكسير أوامري .. لن يُكْسَرَ قلبٌ في هذا البيت مرة أخرى .. لن أسمح بذلك؛ فلتحبوا وتهنؤوا بالحبّ يا أحفادي وليكرمكم الله جميعا".

أحسست بالسعادة في صوته؛ فمن أنا حتى أحرمه الحبَّ!؟ لقد ذقتُ مرارة الفقد ولن أجعله يتجرّعها أبدا .. أكملَ حديثَه بالهاتف مع "آية" .. وبعد أن أغلقت الهاتف معه اقتربت مني آيه: "جدّتي .. فلتساعدي "وليد" في حبِّه؛ لا تسمحي لقلبيهما أن يُدمّر .. أنا أعرف الفتاة التي يُحِبُّها .. إنها من عائلة محترمة وأسرة طيبة".

احتضنتُها وقبلتُها على رأسها ودعوت لها بالشفاء واعدةً إياها أن أُساعدَهم ما آتاني (الله) من قوة .. الآن أحسستُ أنَّ (الله) قد جعل الحادثة الغريبة التي كانت تحدث لأكونَ أنا طرفًا في فَضِّ النزاع ولأُنْهيَ هذه العادات والتقاليد الخَرِبَةْ التي دَمَّرَتْ أجيالنا!

obeikandl.com

(الدَّجَّال)

لم يعلم الحمقى هؤلاء أَنَّني الفتى الجبان، فتى الحرب .. وهل يظنون أنَّ مثلي كان ليحارب في صف الحق أيًّا كان!؟ أحارب للباطل فقط وسأظلُّ أُحارب جانبه .. كم كنت أنتظرُ هذه التعويذة منذ قرون .. سنوات وعشيرتي كلُّها تنتظر هذه التعويذة بفارغ الصبر .. سنوات وعشيرتي تنتظر لنَعْبَثَ كما يحلو لنا بقوة أكثر مما نحن فيها!

ولكن هذه التعويذة تُتيحُ لواحد فقط حَملَ سرّها .. وهذا أنا .. الآن سَيَفْرَحون بما سأفعله، سأكون المحبوبَ بين عشيرتي كلِّها، عَلَيَّ الآن أن أضبط الأحداث كما يجب وأن أُعيد الفتاة لتعطيني التعويذة.

بالطبع سأذهبُ لكل مكانٍ به حروبٌ وخرابٌ ودمارٌ، وأُشْعِلُ فَيتلَ النار بها؛ أنا الآن في (إحدى المدارس الثانوية بمحافظة أسوان) .. سأبدأ الأحداث لتصلني التعويذة.

ترى مَنْ أختار .. حَسَنًا، يُعجبُني هذا الفتى .. يُدعى "علي" سأجلس بجواره وأَتَهَيَّأُ في شكل فتى في سنه: "تعلم يا صديقي أن الفتى المدعو "حسان" هذا كان يذكر قبيلتَك بسوءٍ شديد؟ يقول أنكم أفارقةٌ عبيدٌ للفراعنة ولا حقَّ لكم في أي شبر في أرض مصر".

أنا أضحك بشدة الآن .. الفتى صَدَّقَني والنيران متأجِّجة بداخله، حان الوقت للذهاب للآخر: "مرحبًا "حسان"، تدري الفتي المدعو "علي"؛ ذكر قبيلتَك بسوء شديد يقول أنكم لا عرب ولا عجم وأنكم تريدون الاستيلاء على أرضِهم وسيقومون بِطَرْدِكُم منها قريبًا".

جميل جدًّا .. نجحتْ الخُطَّةُ والآخر على آخره من الغيظِ أيضًا .. يا لَجمالي؛ بدأت السلسةُ جيدًا، سأنتظر اشتعال الحربِ وأذهب إلى الصديقين (عبد العزيز) و(صادق) اللذين لن يجدا إلا (الدَّجَّال) للخروجِ من المحنة .. فالدَّجَلُ هذا شُغْلَتِي وشُغْلَةُ الحمقى من أتباعي!

يعتقدون أنَّني سأعطيهم التعويذة .. لن ينالوا إلا نصفَها الضائع منِّي حتى لا يكون هناك مُتحكّمٌ غيري أنا .. يا لسعادتي وضحكاتي؛ لقد صَدَّقاني .. عليَّ الآن أن أبحثَ عن الفتاة؛ لقد ذكرتْ فتاةً أُخرى مَعَها .. عليَّ أن أبحثَ عنها؛ تُدعى (ريحانة)، ها أنا أراها الآن واقفة وحدَها بجوار النار لِتَتَدَفَّأ؛ مرحبا يا صغيرتي الجميلة!

أما عن الأحمقين (صادق) و(عبد العزيز) فكلاهما يحبُّ صديقَه بوفاءٍ، أكره الوفاء بشدةٍ؛ سألقي بهما .. حَسَنًا سأفكّر قليلا: "(صادق) يحب تاريخ أجدادِه بشدة هاهاها .. تعال يا عزيزي وانعم هنا مع الفراعنة؛ من حُبِّي لك أيها البشري سأعطيكَ عصرًا كان أجدادُك مضطهدين فيه .. فتى الثورة الأحمق (كرشاب) .. أما الآخر (عبد العزيز) فله عندي قصةٌ أُخرى؛ هيا يا فتى، إلى المذبحة الكبرى .. سأفعل بك ما فعلتُه بصديقك ولْتُحِبّا تاريخكما في أسود أيامه!

رائع! انتهى دورُ الفتاتين الآن .. ابتسما جيدًا في موطنكما لأنّي سأجعل أحفادكما يقتتلان حتى الموت ..

أمَّا عن الفتى الغبي (عبد الصمد) الذي كان بالمعركة؛ فلقد أنجب ولده البكر مريضًا .. خاف عليه من الموت إن أسماه (أكرم) على اسم صديقِه؛ فانتظر لمَّا أنجبَ ولدًا آخر وأسماه (أكرم) .. لم يكن يعلم أنَّ ابنه البكر سيسمع كل ما أقوله له في المذبحة الطاحنة في (أسوان) .. الكل يسمعني الآن .. يعتقدون أنَّهم سعداء بسماعِهم لي .. لا يعلمون أنني سأجعلهم يرون أسوأَ مَخَاوِفِهِم!

obeikandl.com

(المصير)

لم يكن الشيطان لينفذ إلا إرادة (الله) فقط .. فَكُلَّمَا أشعل نارًا للحرب أطفأها (الله) .. لا يعلمُ أَنَّ كلَّ ما يفعله بأمر (الله) وإرادته .. حتى اختياره لكل واحدٍ منهم لم يكن هو من يختار.

أَمَّا عن (أكرم) فهو بالسجن ينتظر حكما بالإعدام في القضية المشهورة والتي عرفت إعلاميا بمعركة (الدابودية والهلايل)، بعدما فقد حُبَّ حياته، أصبح حبيسًا لأحزانه .. لا يحدّث أحدًا إلَّا ذلك الشبح، وقد اتهمه البعض بالجنونِ؛ فهو يتحدث معه طيلةَ الوقت في مشهد مأساويٍّ يُدمي القلوب!

و(تيماء) كان من أحفادها (أمين باشا) بعدما ارتبطوا بأهل مصر وتزوّجوا من الحكام والعامة على حد سواء، والذي هرب بعيدًا عن (المذبحة الكبرى) والتي عرفت تاريخيًّا باسم (مذبحة القلعة) ويُقال أنَّه هرب إلى سوريا ولا أحد يعلم عن اختفائه شيئًا.

عاش والدُ أكرم وأخوه لتربية أطفالِهم .. والحقيقة لقد تغيَّرت فكرة (عصام) عن كل شيء حتى أنه يربي أبناءه الآن على نبذ العنف والعنصرية .. وأهل (آية) يعيشون في سلام مع أبنائهم وعاد كل شيء لطبيعتِه الأولى ..

obeikandl.com

كُلِّلَتْ قصة حب (سارة ووليد) بالنجاح، بعدما أقنع كلاهما الأهل بحبِّهما، والذي رُبّما لتلك الظروف التي أحاطت به لم يكن يقفُ أمامه العراقيل التي دَمَّرَتْ حياة وحب (أكرم وآية) .. وتمت خطبتهما؛ وهما الآن لديهما صفحة كبيرة على الإنترنت، وهما من المدافعين عن (نبذ القبيلة والعنصرية) في وقتنا الحالي .. وقد نَجَحا في عملهما نجاحًا كبيرًا وحققا لمصر انتصارًا كبيرًا، وهما الآن مستمران في أبحاثهما وحبِّهما معًا.

وأما (الدَّجَّال) -والذي لا شك أنكم قد عرفتم من هو- يجري في كلِّ مكانٍ ليشعل النيران .. فَلْتتمسّكوا بالله وَلْتعلموا أنه (لن يُصيبنا إلَّا ما كتب اللهُ لنا) واستعيذوا بالله كثيرًا منه!

تَمَّتْ.

openkandl.com

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذو جودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017

obeikandi.com